

## أهل الذمة واسهاماتهم الطبية في دولة المماليك (دراسة تاريخية)

أ.د. اسراء حسن فاضل أ.م.د. عفاف عبد الجبار عبد الحميد

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

### The Deletion and their medical contributions in the Mamluk state (Historical Study)

Prof. Dr. Israa Hassn Fadhil

Ass. Prof. Dr. Ifaf Abduljabbar Abdulhameed

College of Arts\ University of Mustansiriya

#### Abstract:

The period between 648 AH-1223 AH / 1250 AD-1517 AD was the period during which the Mamluk rule ruled by its maritime and bargeic sections, which, in addition to being complementary to the other, are an extension of the previous states that ruled the Egyptian state, especially the Ayyubid state (567 AH -648 AH / 1171 - 1250 AD) in all aspects of political, administrative, economic and intellectual life. The Mamluk Sultans took over Cairo as the capital of their country, which became the leader in the Islamic world, especially after the fall of Baghdad in 656 AH / 1258 AD. Science and science.

**Keywords:** Dehmah, Medicine, Mamluk State.

#### الملخص:

ان الحقبة الممتدة بين عامي ٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م هي الحقبة التي حكمت فيها دولة المماليك بقسميها البحرية والبرجية، اللتان فضلا عن كون احدهما مكمل للآخرى فانهما تعدان امتدادا لما سبقها من الدول التي حكمت البلاد المصرية ولا سيما الدولة الايوبية (٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ / ١١٧١ م - ١٢٥٠ م) في جميع نواحي الحياة السياسية، والادارية، والاقتصادية، والفكرية، واتخذ سلاطين المماليك من القاهرة عاصمة لبلادهم التي اصبح لها الريادة في زعامة العالم الاسلامي لاسيما بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، فحملت منارة العلم وبانتت محط انظار القاصي والداني للفادة من علومها وعلمائها.

**الكلمات المفتاحية:** أهل الذمة، الطب، دولة المماليك.

#### المقدمة:

تميز المجتمع المملوكي بتعدد عناصره وفئاته، ويعد اهل الذمة واحداً من تلك الفئات، الذين تمتعوا ومنذ بداية وصول المسلمين الى بلاد الشام ومصر بمكانة سامية في المجتمع، ومنحوا مساحة واسعة من الحرية، وتبوؤوا الوظائف الهامة في الدولة كالوزارة، ونظر الخاص، والجيش، وكتابة السر، وغيرها من الوظائف، كما زالوا مختلف المهن شأنهم في هذا شأن باقي ابناء المجتمع، وهذه الحرية كفلت لهم تلقي مختلف انواع العلوم التي كانت تدرس في المدارس والكتاتيب ومنازل العلماء وحتى في المساجد وعلى يد افضل علماء ذلك العصر، فبرز منهم العديد من العلماء في مختلف العلوم سواء كانت عقلية كالادب والنحو والتاريخ والفلسفة او عقلية تجريبية كالفلك والكيمياء والطب والصيدلة.

نالت العلوم الطبية اهتمام السلاطين المماليك لارتباطها الوثيق بحياة الناس وسلامتهم، فأنشأوا البيمارستانات في مختلف انحاء البلاد المصرية وزودوها بجميع ما تحتاج اليه من اجهزة ومستلزمات واصبحت هذه البيمارستانات بمثابة جامعات تلقى فيها دروس الطب على الطلبة الراغبين بتعلم هذه المهنة، فبرز العديد من الاطباء من اهل الذمة في البلاد المصرية كابن القف الكركي الذي كان من اعظم جراحي العرب، وله العديد من المؤلفات الطبية، وداود العطار الذي صنف موسوعة طبية صيدلانية جمع فيها ارث

الانسانية الطبي حتى القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي، والطبيب اليهودي مذهب الدين ابو الحسن بن الموفق بن النجم بن المذهب الذي ولي مهمة التدريس في البيمارستان المنصوري، وغيرهم الكثير.

سوف تلقي هذه الدراسة الضوء على اطباء اهل الذمة في مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن، باعتبارها تابعة لدولة المماليك، مع ذكر اهم انجازاتهم الطبية من تصنيفهم للكتب وابتكارهم للوسائل والادوات الطبية ومعالجتهم للأمراض المختلفة واستحداثهم لأساليب جديدة في معالجة الامراض والوقاية منها.

### المبحث الأول

#### نبذة تاريخية عن دور أطباء أهل الذمة في الحضارة الإسلامية حتى العصر المملوكي

##### أولاً: معنى الذمة لغة واصطلاحاً:

الذمة في اللغة هي الأمان والعهد<sup>(١)</sup>. واهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى. وغيرهم من يقيم في دار الاسلام<sup>(٢)</sup>، وحددها الفقهاء بقولهم: (يلزم لهم ببذلها حقان، أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم، ليكونوا أمنين، وبالحماية محروسين)<sup>(٣)</sup>. لقد اعتبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين أن اليهود والنصارى هم أهل الذمة ومن أعترف الاسلام بهم وعقد الذمة معهم، وقد أدخل كل من الصابئة والمجوس في عداد أهل الذمة<sup>(٤)</sup>.

##### ثانياً: الاسهامات الطبية لأهل الذمة في المشرق الإسلامي:

الدين الاسلامي دين عالمي تميز برسائله التي شملت البشرية قاطبة بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو المذهبية أو حتى الطبقية. فلم تحظ مبادئ الأخوة الانسانية لدى أمة من الأمم، يمثل ما حظيت به في الاسلام، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة، قال تعالى: (بأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا)<sup>(٥)</sup>.

ولهذا فقد حظي أهل الذمة في العصور الاسلامية بسياسة التسامح والحرية الدينية والعدالة الاجتماعية بصورة عامة مما فصح المجال لهم بالمشاركة في الحياة العامة للمجتمع الاسلامي فمارسوا التجارة واشتغلوا بالعلوم وامتحنوا المهن وعلموا في الصناعات والحرف بكل انواعها ولم يتعرضوا الى أي اضطهاد أو مضايقات منعته من العيش كمواطنين يتمتعون بامتيازات المواطنة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ما داموا ملتزمين بعهودهم حتى وصف المستشرق أس. ترنتول حالهم في ظل الحكم الاسلامي قائلاً: (فقد كان النصارى في بعض الأحيان يؤثرون العيش في ظل الحكم الاسلامي على العيش في ظل إخوانهم المسلمين)<sup>(٦)</sup>.

وفي ظل هذا التسامح الديني والتعايش السلمي برز نخبة من أهل الذمة في مجال العلوم الادبية والعلمية ومنها العلوم الطبية التي أبدعوا فيها وأجادوها أجاده عظيمة جعلت الخلفاء والولاة والحكام يقربوهم إليهم ويدخلوهم في خاصيتهم ويجعلوهم المسؤولين على الحفاظ على حياتهم كما أن البعض تولى مناصب كبيرة في منشآت الدولة العربية الاسلامية ومنها المستشفيات (البيمارستانات)، ساعدتهم على هذا الامر انحدارهم من مراكز ثقافية اشتهرت بغناها الحضاري والعلمي قبل مجيء الاسلام نذكر أهمها: الاسكندرية، وانطاكية<sup>(٧)</sup>، وحران<sup>(٨)</sup>، ونصيبين<sup>(٩)</sup>، والرها<sup>(١٠)</sup>، وجند يسابور<sup>(١١)</sup>، وكانت هذه بمثابة مدارس عبرت من خلالها العلوم من حضارات

(١) السرخسي، أبو بكر محمد ت (١٠٩٦/٥٤٩٠م): شرح السير الكبير، ج ١، (الهند، ١٣٣٥هـ)، ص ١٦٨؛ الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، ج ٤، (بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م)، ص ١١٥.

(٢) عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، (بيروت، ١٤٠٢/١٩٨٢م)، ص ٢٢.

(٣) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت ٤٥٠/١٠٥٨م): الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مراجعة د. محمد فهمي سرحان، (مصر ١٩٧٨م)، ص ١٦٢.

(٤) توفيق سلطان اليوزبكي: تاريخ أهل الذمة في العراق (١٢٠٥ - ٢٤٧هـ)، (الرياض، ١٤٠٣/١٩٨٣م)، ص ٤٥.

(٥) سورة الحجرات من الآية ١٣.

(٦) أهل الذمة في الاسلام، ترجمة: حسن حبشي، (مصر، ١٩٦٧م)، ص ١٢١.

(٧) أنطاكية: من أهم الثغور الشامية، وهي من اعيان البلاد وأمهاتها وتقع على نهر العاص. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، معجم البلدان، ج ١، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص ٢٦٦.

(٨) حران، مدينة كبيرة تقع في شمال العراق على طريق (الموصل - الشام) بين الرها ورأس العيق وقد سكنها كثير من اليونانيين على عهد الاسكندر الكبير، وكانت منازل الصائبة المعروفين بالحرانيين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٩) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل الى الشام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٨.

مختلفة فامتزج فيها رياضيات وفلك بابل وهندسة مصر وعلومها الطبية وعلوم اليونان والهند والفرس، ثم شكلت ومنذ الفتح الاسلامي - قوساً جغرافياً يبدأ بالإسكندرية ويمر عبر البحر المتوسط بأنطاكية ونصيبين وحران وجنديسابور، تنتهي المسيرة العلمية في خطوتها الأخيرة ببغداد، تلك المدينة التي قدر لها أن تكون عاصمة الدنيا عدة قرون ومركزاً حضارياً جامعاً تلاقت فيه الحكمة القديمة من يونانية ورومانية وفارسية وهندية لتعانق مع إبداعات المسلمين الحضارية في وقت بدأت فيه علامات الانهيار تدب في معظم المراكز المذكورة<sup>(٣)</sup>.

وبرز العديد من علماء أهل الذمة في الطب كونه يعد من العلوم القديمة قدم الانسان، وهو مهنة أممية، أي شاركت في وضع قواعده أُمم شتى في مختلف الأزمان والبلدان، وتناقل الرواة والكتاب معارفه من أمه الى أمه المصرية، والبابلية، والصينية، والهندية، والفارسية، واليونانية، كما مارسه عرب الجاهلية<sup>(٤)</sup>، وأسهمت مؤلفات الامم السابقة في العلوم الطبية الى رقد الأطباء في العصور الاسلامية بالعديد من المعارف والعلوم والقواعد والأسس كمصنفات ابقراط وجالنيوس التي انطلقوا منها للبحث والدراسة والتطوير والابداع، فكانت مدينة جنديسابور على وجه الخصوص ذات أهمية في العلوم الطبية (لكونها البوذة التي انصهرت فيها الأفكار اليونانية والهندية إضافة الى الأفكار الفارسية)<sup>(٥)</sup>، فتمكنت من تخريج العديد من علماء أهل الذمة في مجال الطب وقد دخل بعضهم ومنذ عصور مبكرة للإسلام في خدمة الخلفاء المسلمين، فكان للخليفة معاوية بن ابي سفيان (٤٠-٦٠هـ/٦٦٠-٦٨٠م) طبيبان نصرانيان من أهل دمشق هما أبان آفال، وكان خبيراً بالأدوية المفردة والسموم، والآخر أبو الحكم الدمشقي؛ وكان بارعاً في التطبيب<sup>(٦)</sup>. أما في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، الذي يمثل عصر التأليف والترجمة ويزوغ العلماء في شتى مجالات العلم والمعرفة وازدهار الحياة العامة في جميع مرافقها، وتشجيع الخلفاء العباسيين للحركة الفكرية والعلمية وعلم الطب كان من العلوم التي لم يغفل عن مكانته العباسيين، فكان للخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) عدة أطباء نذكر منهم من كان من أهل الذمة الطبيب فرات بن شحناثا اليهودي<sup>(٧)</sup>، وجورجيوس بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور، وقد أحسن مدارات المنصور ومدادته حتى صار طبيبة الخاص، وترجم للخليفة العديد من كتب الطب السريانية الى العربية<sup>(٨)</sup>، وقد لازمت أسرة بختيشوع مهنة الطب فبرز منها وعلى مدى أجيال العديد من الأطباء ومنهم بختيشوع بن جورجيس (ت ١٨٥هـ/٣٨٠١)، والذي صار رئيساً للأطباء في عهد الخليفة الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)<sup>(٩)</sup>.

واستمرت هذه الأسرة تمارس الطب وتعالج الخلفاء حتى عاصرت كل من الخليفة المنصور والرشيد والأمين والمأمون والمعتمد والواثق والمتوكل الى جانب الوزراء والقادة<sup>(١٠)</sup>، كما برز أطباء آخرون نالوا شهرة واسعة نذكر على سبيل المثال سابور بن سهيل (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)<sup>(١١)</sup>، وحنين بن اسحاق العبدي ت (٢٦٠هـ/٨٧٣م)<sup>(١٢)</sup>.

(١) الرها: مدينة كبيرة تقع شرقي الفرات في الجزء الشمالي من إقليم ما بين النهرين (الجزيرة)، وهي من أهم مراكز اللغة السريانية، - ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٠٦.

(٢) جنديسابور: مدينة فارسية أسسها سابور بن أردشير (٢٤١-٢٧٢م)، وجعل منها مركزاً للنشاط العقلي، وترجمت فيها كثير من الكتب اليونانية الى الفارسية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٠.

(٣) ياسين خليل، "العلوم الصرفة"، موسوعة حضارة العراق، - ج ٨، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٣٧٧.

(٤) طه عبد المقصود أبو عبيدة، الحضارة الإسلامية، ج ١، (بيروت، ٢٠٠٤هـ/١٤٢٤م)، ص ٣٧٦.

(٥) رشيد الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، طرابلس، ١٣٩١هـ/١٩٨٢م، ص ٢٠٣.

(٦) عمر فوخ، تاريخ العلوم عند العرب، (بيروت، ١٩٧٠م)، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٧) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت، د.ت)، ص ١٦٩.

(٨) القفطي، أخبار العلماء، ص ١٦٩.

(٩) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الانباء، تحقيق نزار رضا، (بيروت، د.ت)، ص ١٨٦-١٨٧.

(١٠) توفيق سلطان اليوزبيكي، تاريخ أهل الذمة في العراق (٢٤٧هـ/١٢٤٧م)، ص ٤١٤.

(١١) القفطي، أخبار العلماء، ص ١٤١.

(١٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٢٣٠.

اما أسرة آل ماسوية فقد امتهنت هي الأخرى الطب واشتهرت بالتطبيب للخلفاء العباسيين بعد أن انتقلت من جند سابور الى بغداد، فبرز ماسوية الأب زمن الخليفة الرشيد<sup>(١)</sup>، أما الابن يوحنا بن ماسويه فقد طيب كلاً من الخلفاء هارون الرشيد، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل<sup>(٢)</sup>، فتوارثت هذه الأسرة مهنة الطب وخدمة الخلفاء العباسيين.

ثم برزت أسرة الطبيب الصابي ثابت بن قرة لتكمل مسيرة آل سويه بالاهتمام بالخلفاء العباسيين فربطتها علاقة قوية مع الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، وعاصرت هذه الأسرة كل من الخلفاء المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، والراضي بالله، وغيرهم فضلاً عن صحبتهم للأمرء والوزراء<sup>(٣)</sup>.

وأصبح لأطباء أهل الذمة مجالس علمية اسوة بالأطباء المسلمين وعقدت هذه المجالس على أثر اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلوم والمعارف، كما أنها عقدت لتدريس الطب سواء للتلاميذ المسلمين وغير المسلمين.

ومن مجالس الخلفاء نذكر مجلس الخليفة هارون الرشيد، الذي ضم فيه أطباء مهرة من المسلمين وأهل الذمة، وكان يعقده في قصره لمناقشة العديد من المواضيع الطبية<sup>(٤)</sup>، التي تخص الدولة سواء مرض احد افراد الاسرة الحاكمة أو للتباحث حول الامراض التي تطرأ على البلاد وتنتشر بين الناس وكيفية الحد من انتشارها وما هي طرق علاجها<sup>(٥)</sup>. كما كان للخليفة الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) مجلساً مشابهاً<sup>(٦)</sup>، وايضاً مجلس الخليفة المتوكل (٣٢٣-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م)، التي حضرها خيرة الأطباء من أهل الذمة<sup>(٧)</sup>، وغيرها من المجالس الطبية.

ونتيجة حذاقة أهل الذمة في مجال الطب فقد عقدوا مجالس علمية لتدريس الطب وقد حضرها طلاب العلم المسلمين وأهل الذمة على سواء، ففي مجلس الطبيب اليهودي أبو البيان بن المدور (٥٥٦-٥٨٠هـ/١١٦٠-١١٨٤م) تتلمذ فيه الكثير من الأطباء المسلمين، وكان قد خدم الخلفاء الفاطميين في أواخر دولتهم كما خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٧-١١٩٣م)<sup>(٨)</sup>، وغيرهم كثيرين.

وكان للأطباء النصارى في جانب الكرخ من بغداد مجالس تعقد لتعليم الطب، وقد درس الطبيب علي بن علي الأمدي الشافعي على أيديهم<sup>(٩)</sup>. وكانت بعض المجالس الطبية تعقد بدكاكين خاصة لتدريس صناعة الطب كما كان يفعل الطبيب جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ت (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)<sup>(١٠)</sup>.

كما ترك أهل الذمة نتائج علمية تخص الطب بجميع فروعها بما ألفوه من كتب وشروحات طبية مختلفة عن الامراض وعلاجاتها نذكر منها كتاب (الروضة الطبية ومناقب الأطباء) لعبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع (ت ٤٥٠هـ/١٠٨٥م)<sup>(١١)</sup>، وصنف حنين بن أسحاق أول كتاب بطب العيون<sup>(١٢)</sup>، وأول من كتب عن الجذام يوحنا بن ماسويه<sup>(١٣)</sup>، وغيرها من المؤلفات التي اسهمت في تطوير الطب وتقدمه على يد أهل الذمة والمسلمين على حد سواء فشكلت البنية الاولى التي انطلق منها علم الطب الى العالم الحديث.

(١) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٢٥٧.

(٢) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م أو ٩٩٥م): الفهرست، (بيروت، د.ت)، ص ٣٥٤؛ ابن جليل، سليمان بن حسان (ت بعد ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، ١٩٥٥م)، ص ٦٥-٦٦.

(٣) وسن حسين، اثر اهل الذمة في الحركة الفكرية في العراق وبلاد الشام ومصر القرن (٢٠٧هـ-٧هـ)، اطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ٢٠٠٧م، ٨٢-٨٣.

(٤) البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ/٩٢٣م)، المحاسن والمساوي، تصحيح، محمد بدر الدين، (مصر، ١٩٠٦م)، ج ١، ص ٢٢٩.

(٥) عبد الجبار الجمورد، هارون الرشيد، (بيروت، ١٩٥٦م)، ج ١، ص ٣٠٢.

(٦) المسعودي، ابو الحسن بن علي، (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، اعتنى به وراجعته، كمال حسن مرعي، (بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ص ٦٤.

(٧) ابن العبري، ابو الفرج جمال الدين (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر دول، (بيروت، ١٨٩٠م)، ص ٢٤٩.

(٨) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٧٩.

(٩) القفطي، أخبار العلماء، ص ١٦١.

(١٠) القفطي، أخبار العلماء، ص ١٠٣.

(١١) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٢١٤.

(١٢) القفطي، أخبار العلماء، ص ١١٩.

(١٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٤.

ونتيجة للثقة التي اكتسبها أطباء أهل الذمة من قبل الخلفاء العباسيين برز منهم من تولى رئاسة البيمارستانات (المستشفيات) في بغداد الى جانب التدريس فيها ومنهم الطبيب ماسويه بن يوحنا الذي عينه الخليفة الرشيد مديراً لأول بيمارستان أنشئ في بغداد<sup>(١)</sup>. ولا يمكننا أن ننسى ما قدمه علماء أهل الذمة في مجال الادوية والعقاقير وتحضيرها وهو ما يطلق عليه بعلم الصيدلية ويأتي في مقدمتهم يوحنا ماسويه (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، له كتاب (في تركيب الأدوية المسهلة واصلاحها)<sup>(٢)</sup>، وصنف علي بن سهيل بن رين الطبري البغدادي (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، كتاب (منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير)<sup>(٣)</sup>، وكان لحنين بن أسحاق العبادي البغدادي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، العديد بن الترجمات والمؤلفات منها كتاب (أسرار الأدوية المركبة)، وكتاب (الأدوية المسهلة)، الذي لم يسبق إليه أحد كما يقول القفطي<sup>(٤)</sup>، وكان سابور بن سهل النصراني ت(٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) من كبار العلماء الصيادلة في بغداد<sup>(٥)</sup>، ونتيجة لهذا الاهتمام بهذا الجانب نراهم قد ابدعوا بتحضير الادوية المفردة والمركبة مع معرفة أنواع الادوية وخصائصها وتراكيبها ومقاديرها وكيفية استعمالها بطرق علمية ومراقبة فاعلياتها، ومدى استجابة المريض لها الى جانب علماؤنا المسلمين مما جعل علم الصيدلة يقطع شوطاً كبيراً في التقدم والازدهار.

### ثالثاً: تطور العلوم الطبية في العصر الأيوبي ودور أهل الذمة فيها:

شهد العصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م) الكثير من الأحداث التاريخية خاصة في جانبه السياسي والحربي الذي يمثله التصادم مع الوجود الصليبي في بلاد الشام ومصر مما استعدى اهتمام الدولة الايوبية بتوفير متطلبات العمل الحربي من اموال وجنود وسلاح وعمال وحرفيين وكل ما يدعم ذلك ومن ضمنه الجانب الطبي الذي لم يغفل أهميته القادة الأيوبيين لما يخلفه صراعهم مع الصليبيين من جرحى واصابات عديدة ومختلفة في الجنود المسلمين تتطلب إسعافهم بالطرق الطبية السليمة تسمح للجنود من العودة مرة أخرى الى ساحة المعركة، وأنعكس ذلك على زيادة النشاط العلمي في مجال البحث الطبي والاستدلال على العلاجات الشافية والارتقاء بالطب وعلاجاته الى مستوى يناسب المرحلة والظرف الاستثنائي التي تمر به الدولة، كما أن القادة الايوبيين قد حرصوا منذ البداية على تهيئة الظروف الملائمة للنشاط الفكري والثقافي والمعرفي ودعمهم المادي والمعنوي للعلم والعلماء وبنائهم للعديد من المؤسسات التعليمية وتعاملهم بقدر كبير من التسامح وحرية الفكر مع رعاياهم كل هذا مهد الطريق نحو التعبئة السليمة لدحر الصليبيين ومن حالفهم<sup>(٦)</sup>.

ولعل ليس اكثر دلالة من اهتمام الايوبيين بهذه المهنة هو ما نلخصه من خلال المنشور الذي أصدره صلاح الدين الايوبي بعد فتحه لمدينة حلب عام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، والذي أصبح القاعدة الرئيسية في الرعاية الصحية فيما بعد، فقد تضمن في محتواه واجبات الطبيب التي يجب عليه أن يطبقها في مجال عمله وجاء فيه (وأمرناه بأن يواظب على الخدمة بقلعه حلب المحروسة لمدادها اهلها وحيازة مرضاها ومعالجة كل حالة بمقتضاها لمدادها أهل البلد)<sup>(٧)</sup>، كما تضمن المنشور ايضاً اموراً ينبغي على الطبيب معرفتها في عمله من مهارته في تشريح الاعضاء وتقسيم الادوية وتركيبها والاجتهاد في ملاطفة اخلاق المريض في دوائه واخلاقه<sup>(٨)</sup>. كل هذا من اجل الحفاظ على مدن سالمه خالية من الامراض قوية امام الاعداء.

كما أفاد الاطباء في الدولة الايوبية كثيراً من التراث العلمي لمن سبقهم سيما المؤلفات اليونانية والسريانية وما تم تأليفه وترجمته في زمن الخلفاء العباسيين في بغداد وما تركه الخلفاء الفاطميين في مصر، كما عملوا هم أيضاً على تقدم الطب في العالم

(١) ابن ابي أصيبعة: عيون الأطباء، ص ٢٤٥.

(٢) طه عبد المقصود أبو عييه: الحضارة الاسلامية، ج ١، ص ٤٠٣.

(٣) طه عبد المقصود أبو عييه: الحضارة الاسلامية، ج ١، ص ٤٠٩.

(٤) أخبار العلماء، ص ١١٨-١١٩.

(٥) القفطي، اخبار العلماء، ص ١٤١.

(٦) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (الكويت، ١٩٩٠م)، ص ٢٢١.

(٧) عماد الدين الاصفهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين (ت ٥٩٧هـ)، البرق الشامي، ج ٥، تحقيق، فالح حسين، (الاردن، ١٩٨٧م)، ص ١٣٨-١٣٩.

(٨) عماد الدين الاصفهاني، البرق الشافي، ج ٥، ص ١٣٩.

الاسلامي بما أضافوه من الدراسات التجريبية والتطبيقية في هذا المجال فبهروا الصليبيين بما أحرزوه من انجازات طبية حتى اقتبسوا منهم الكثير من أساليب العلاج، كما قلدوا المسلمين في بناء المستشفيات<sup>(١)</sup>. كما أغدق الايوبيون على أطبائهم الأموال والمناصب والقطاعات فكان للأطباء في عهدهم مكانة عالية في المجتمع، ومما يدل على تلك المكانة الألقاب الفخمة التي اشتهروا بها وكثيراً ما يتم مخاطبتهم بها<sup>(٢)</sup>. ومما ساهم في تقدم الطب في العهد الايوبي ان ممارسته لم تقتصر على الاطباء المسلمين، بل نبغ فيه عدد كبير من اليهود والنصارى فلم يكن هناك ما يحول في عدم ممارستهم لهذه المهنة الانسانية في ظل أجواء التسامح الاسلامي، التي أشاعها الايوبيون<sup>(٣)</sup>، ومن سبقهم من الخلفاء الامويين والعباسيين.

ونتيجة لذلك فقد أختص الكثير منهم بالسلطين الأيوبيين ورافقهم في حلهم وترحالهم ونالوا من قبلهم التكريم والرعاية مما دفع البعض منهم الى اعتناق الاسلام طواعية<sup>(٤)</sup>، ومنهم الطبيب موقف الدين أسعد بن ألياس المشهور بأبن المطران (ت ٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، الذي خدم القائد صلاح الدين الايوبي فأجزل عليه الاموال وقد أعلن فيما بعد إسلامه، وله تصانيف طبية مهمة<sup>(٥)</sup>.

ومن الذين حظوا بخدمة الايوبيين الطبيب الموفق بن شوعه (ت ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، وهو من مشاهير أطباء اليهود بمصر خدم السلطان الناصر صلاح الدين بالقاءة، وكانت له منزلة كبيرة عنده<sup>(٦)</sup>، والطبيب ابو البيان داود بن سليمان بن اسرائيل الملقب بالسديد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)<sup>(٧)</sup>، والطبيب هبه الله بن زين، وكانت له حلقة تدريس وتلامذة، ومن مؤلفاته في الطب (الارشاد في الطب) و(تنقيح القالون) وغيرها<sup>(٨)</sup>.

كما كان للسلطان الناصر صلاح الدين الايوبي مجالس طبية تردد الى دوره ومن جملة الاطباء النصارى الذين حضروا هذه المجالس الطبيب نجم الدين غالب بن مهند بن منصور النصراني (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) ؛ وله كتاب (الموجز في الطب)<sup>(٩)</sup>.

وخدم الطبيب النصراني موفق الدين أبو شاكر بن أبي سليمان داود بن ابي المنى (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) الملك الايوبي العادل (٥٣٩-٦١٥هـ/ ١١٤٤-١٢١٨م)، الذي اعتمد عليه في مداوته، ثم اسكنه الملك الكامل معه بالقلعة بالقاهرة<sup>(١٠)</sup>.

وغيرهم من أطباء أهل الذمة ممن نالوا رعاية الايوبيين واهتمامهم ومن الملاحظ أن الحروب التي خاضها الايوبيون ضد اعدائهم الصليبيين ولسنوات عديدة لم تنتهم عن تقديم الدعم والعون للعلم والعلماء بل بالعكس استمرت العلوم بالتطور والتخصص أكثر وأكثر ونال هذا التطور الجانب الطبي فقد ظهر في العصر الايوبي ما يمكن أن نسميه بالطب النفسي الذي يقوم على أدخل السرور على النفس، ومنها استعمال الموسيقى والاستماع الى الشعر ولهم في ذلك مؤلفات تتحدث عن ذلك<sup>(١١)</sup>، كما أهتموا بالعامل الوقائي ودوره في حفظ الصحة فقد ألف الطبيب موفق الدين أسعد المعروف بأبن المطران كتاباً لصلاح الدين دعاه (المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية)<sup>(١٢)</sup>، وكان الاطباء يفضلون العلاج بالأغذية على العلاجات بالأدوية، فقد ألف ابو الحجاج يوسف اليهودي رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكيفية في تناولها<sup>(١٣)</sup>، وللطبيب أبن جميع اليهودي مقاله في (الليمون وشرابه ومنافعه)<sup>(١٤)</sup>، وغيرها.

(١) ماكس ماير هوف، "العلوم والطب"، بحث منشور ضمن كتاب تراث الاسلام لمجموعة مستشرقين، ج ٢، أشراف: سيرتوماس أرنولد، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، (اريل، ٢٠٠٠م)، ص ٥٠٠.

(٢) شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، (عمان، ٢٠٠٧م)، ص ٢٥٦.

(٣) شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ص ٢٥٩.

(٤) شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٥) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٦٥٨-٦٥٩.

(٦) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٨١.

(٧) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٧٩.

(٨) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٧٦.

(٩) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٦٦١.

(١٠) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٨٣.

(١١) شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(١٢) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٦٥٨-٦٥٩.

(١٣) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٦٩٦.

(١٤) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٧٩.

كما ظهر التخصص في علاج الامراض كأمراض العيون وأمراض الكلى والقالون، والجهاز التنفسي وغيرها من الامراض وساهم فيها اطباء المسلمين وأهل الذمة على سواء ولهم فيها مؤلفات عديدة أدت الى تقدم الطب وتطويره، فكانت صناعة الادوية وتركيب العقاقير الاهتمام والرعاية من الدولة الاموية لا تقل عن الاهتمام بالطب والاطباء، فقد حقق فيه العلماء انجازات مهمة في ميدان استخراج العقاقير من مصادرها وكذلك بيان كيفية تركيبها ومعالجتها بطرق مختلفة وقد فرضت الدولة الرقابة على صناعة الادوية لحماية المرضى من غش بعض الصيادلة وكان ذلك من واجب المحتسب الذي يراقب صلاحية الأدوية والى جانبه رئيس العشابين يساعده في ذلك<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني

### اهل الذمة واسهاماتهم الطبية في دولة المماليك

#### اولاً: اوضاع البلاد المصرية في عهد المماليك (دراسة تاريخية):

بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين ايوب (٦٣٧هـ-٦٤٧هـ / ١٢٣٩م-١٢٤٩م) خلفه في حكم البلاد ابنه تورانشاه (٦٤٧هـ-٦٤٨هـ / ١٢٤٩م-١٢٥٠م) الذي لم يدم حكمه طويلاً فقد قتل على يد المماليك<sup>(٢)</sup> سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، فوقع اختيارهم على شجر الدر لحكم مصر، ولأسباب عدة منها انتمائها للعنصر التركي، ولكنها زوجة الملك الصالح نجم الدين ايوب<sup>(٣)</sup>، وبتبوءها الحكم بدا عصر جديد في التاريخ الاسلامي يعرف بعصر المماليك (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ / ١٢٥٠م-١٥١٧م).

ويمكن ان نقسم حكم المماليك في البلاد المصرية (مصر وبلاد الشام) الى حقتين تاريخيتين الاولى هي عصر المماليك البحرية (٦٤٨هـ-٧٨٤هـ / ١٢٥٠م-١٣٨٢م) نسبة الى اقامتهم في جزيرة الروضة وسط النيل<sup>(٤)</sup>، والثانية هي عصر المماليك الجراكسة أو البرجية (٧٨٤هـ-٩٢٣هـ / ١٣٨٢م-١٥١٧م) لاتخاذهم من ابراج قلعة الجبل في القاهرة مقراً لاقامتهم<sup>(٥)</sup>، وتتسم كلا المرحلتين بانها مكتملة واحدة للأخرى من النواحي السياسية والادارية والاقتصادية، ولم نلاحظ أي اختلاف بينهما سوى في المكان الذي جلب منه المماليك، ومكان اقامتهم في القاهرة. ولأسباب عدة تنازلت شجر الدر<sup>(٦)</sup> عن الحكم للمعز أيبك (٦٤٨هـ-٦٥٥هـ / ١٢٥٠م-١٢٥٧م) بعد زواجها منه، فوضع الى جانبه في الحكم طفل صغير ينتمي للبيت الايوبي، للتخلص من معارضتهم لحكم المماليك في البلاد المصرية<sup>(٧)</sup>، ومع ذلك لم يعترف الايوبيون بحكم المماليك ودخل الطرفان في نزاع عسكري انتهى بتدخل الخليفة العباسي الذي طلب منهم حل خلافاتهم لمواجهة الخطر المغولي الذي بات يهدد الخلافة العباسية والعالم الاسلامي<sup>(٨)</sup>. لقد واجهت البلاد المصرية اiban حكم المماليك اخطار خارجية عدة ياتي في مقدمتها الخطر المغولي بقيادة هولاكو الذي تمكن من القضاء على الخلافة العباسية (١٣٢٢هـ/ ٦٥٦م-٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، واحتلال بغداد ثم توجه بجيوشه نحو بلاد الشام وتمكن من احتلالها واعد العدة لاجتياح مصر فتمكن السلطان المظفر قطز (٦٥٧هـ-٦٥٨هـ / ١٢٥٩م-١٢٦٠م) من افشال محاولته في معركة عين جالوت<sup>(٩)</sup> سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، وابعد

(١) ينظر: تفاصيل الانجازات الطبية في مجال الصيدلة، شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية، ص ٢٦٧-٢٧٥.

(٢) قزأوغلي، شمس الدين يوسف ت ٦٥٤هـ / ٢٥٦م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق ابراهيم الزبيق، (ط١)، الرسالة العلمية، دمشق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ج ٢٢، ص ٤١٣.

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (ط١) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ص ٣٣٢-٣٣٤.

(٤) المقريزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، الخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل المنصور، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م)، ج ٣، ص ٤١٢.

(٥) المقريزي، الخطط، ج ٣، ص ٤٢٠.

(٦) حكمت مدة ٨٠ يوم، ويقال ثلاثة أشهر. للمزيد ينظر: المقريزي، احمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧م)، ج ١، ص ٤٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٦، ص ٣٣٣.

(٧) الذهبي، محمد بن احمد، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غير، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٨) ابن سباط، حمزة بن احمد، (ت بعد ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)، صدق الاخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (ط١)، لبنان، طرابلس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ج ١، ص ٣٦٦.

(٩) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، (ط١)، دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ج ٤، ص ٦.

خطر المغول عن مصر وبلاد الشام، ومع ذلك تكررت هجمات المغول على البلاد المصرية خلال السنوات<sup>(١)</sup> (١٢٦٣هـ/١٢٦٤م)، (١٢٨٠هـ/١٢٨١م)، (١٢٩٩هـ/١٢٩٩م)، (١٣٠٢هـ/١٣٠٢م)، وكان آخرها هجوم المغول بقيادة تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م على البلاد المصرية واجتياحه لدمشق وتهديده باجتياح مصر فجرت مفاوضات بينه وبين السلطان الناصر فرج<sup>(٢)</sup> (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩١م-١٤١٢م) نتج عنها انسحاب المغول من جميع الديار المصرية<sup>(٣)</sup>. أما الخطر الصليبي فهو ثاني الاخطار مرتبة التي زعزعت امن واستقرار البلاد المصرية فقد استمر الوجود الصليبي في بعض قلاع وحصون بلاد الشام، الذين لم يتوانوا عن تقديم المساعدة والعون للحمالات الصليبية باتجاه السواحل المصرية<sup>(٤)</sup> (دمياط، الاسكندرية) فبدأت حملة لتطهير البلاد الشامية من بقايا الصليبيين بدأ بها السلطان الظاهر بيبرس<sup>(٥)</sup> (٦٥٨هـ-٦٧٦هـ/١٢٦٠م-١٢٧٧م) واستمرت في عهد السلطان المنصور قلاوون<sup>(٦)</sup> (٦٧٦هـ-٦٩٠هـ/١٢٧٧م-١٢٩١م) وانتهت بنجاح السلطان الاشرف خليل (٦٨٩هـ-٦٩٣هـ/١٢٩٠م-١٢٩٣م)، بطرد الصليبيين من مدينة عكا<sup>(٧)</sup> سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م<sup>(٨)</sup>، ومع هذا فقد استمرت السواحل المصرية تتعرض لهجوم الصليبيين الذين خلفوا الدمار والخراب في البلاد التي حلت فيها فتصدى لهم السلاطين المماليك وتمكنوا من طردهم وافشال حملاتهم<sup>(٩)</sup>. ويمثل الخطر العثماني اخر المخاطر الخارجية التي هددت البلاد المصرية، فقد تحولت العلاقات الودية التي جمعت الدولة المملوكية بالدولة العثمانية الى علاقات عدائية بعد ان ظهرت اطماع السلطان سليم الاول (٩١٨هـ/١٥١٢م-٩٢٧هـ/١٥٢٠م) العنيفة في مصر وبلاد الشام وباعت بالفشل كل جهود المماليك في التصدي له وايقاف تقدمه في بلادهم فتمكن من احتلال بلاد الشام<sup>(١٠)</sup> بعد معركة مرج دابق<sup>(١١)</sup> سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م التي شجعت على الزحف نحو مصر واحتلال القاهرة بعد معركة الريدانية<sup>(١٢)</sup> سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وبمقتل السلطان طومان باي<sup>(١٣)</sup> (٩٢٢هـ-٩٢٣هـ/١٥١٦م-١٥١٧م) انتهى حكم دولة المماليك في البلاد المصرية الذي استمر زهاء القرنين ونصف القرن. اما على الصعيد الداخلي فقد شهدت البلاد قيام العديد من الفتن والثورات التي ساهمت في زعزعة الاستقرار الداخلي للبلاد لفترة مؤقتة اذ سرعان ما تعود البلاد الى سابق عهدها من الهدوء والاستقرار بعد القضاء على تلك الاضطرابات<sup>(١٤)</sup>. ويعد احياء الخلافة العباسية الى مصر سنة ٦٥٩هـ/١٢٥٧م بعد سقوطها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م من ابرز احداث العصر المملوكي<sup>(١٥)</sup>. غطت دولة المماليك رقعة

- (١) ابن كثير، ابو الفداء، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق احمد عبد الوهاب فتح الله، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ج ١٢، ص ٢٧٤، ص ٣٢٨؛ ج ١٣، ص ٧، ص ٢٨.
- (٢) تولى حكم البلاد المصرية مرتين، شغلت ولايته الاولى المدة (٨٠١هـ-٨٠٨هـ/١٣٩٨م-١٤٠٥م)، ثم عزل عدة اشهر وعاد للحكم ثانية في نفس العام للمدة (٨٠٨هـ-٨١٥هـ/١٤٠٥م-١٤١٢م). للمزيد ينظر: ابن اياس، محمد، (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ق ٢، تحقيق محمد مصطفى، (القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ص ٥٣٦، ص ٧٤١.
- (٣) ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، اعتنى به ابو صهيبي الكرمي، (بيت الافكار الدولية، الاردن، عمان، د.ت)، (ص ٢١٢١ - ص ٢١٢٥).
- (٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٦، ص ٢٩٢.
- (٥) في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م سيطر على انطاكية، ثم سيطر على حصن الاكراد والشقيف وغيرها من المدن والقلاع، كما جدد الهدنة مع صاحب طرابلس والمربق. للمزيد ينظر: المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٩، ص ٥٠، ص ٦٩، ص ٧٠.
- (٦) في سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م فتح المرقب وفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م فتح صهيون. للمزيد ينظر: المنصوري، بيبرس، (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، التحفة المملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح حمدان، (ط ١)، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ١١٣، ص ١١٨؛ وفي سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م عام فتح طرابلس. للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية، ج ١٢، ص ٣٤٩.
- (٧) عكا: بفتح اوله وتشديد ثانيه وهي بلد على ساحل الشام من عمل الاردن. للمزيد ينظر: الحموي، ياقوت، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشي، (ط ١)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج ٦، ص ٣٤٣.
- (٨) ابن حبيب، الحسن بن عمر، (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد امين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، (دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م)، ج ١، ص ١٣٧.
- (٩) سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م استولى الفرنج على الاسكندرية وعاثوا فيها فسادا ثم انسحبوا. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢٤.
- (١٠) ابن طولون، شمس الدين محمد، (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مفاهكة الخلان في حوادث الزمان، ق ٢، تحقيق محمد مصطفى، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص ٢٤.
- (١١) مرج دابق: قرية قرب حلب من اعمال اعزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ. للمزيد ينظر: الحموي، معجم، ج ٤، ص ٢٧١.
- (١٢) ابن زنبيل، احمد الرمال، (٩٦٠هـ/١٥٥٢م)، آخرة المماليك، تحقيق عبد المنعم عامر، (ط ٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م)، ص ١٢٢.
- (١٣) ابن طولون، مفاهكة الخلان، ق ٢، ص ٦٠.
- (١٤) للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٣٦؛ ج ١٢، ص ٢٤٥؛ ج ١٣، ص ١٦١.
- (١٥) الديار بكري، حسين بن محمد، (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، (مؤسسة شعبان، بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ٣٧٩.



جغرافية واسعة ضمت مصر وبلاد الشام وديار بكر والبلاد الفراتية والحجاز في حين انفصلت بلاد اليمن عن تبعيتها للبلاد المصرية منذ سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م<sup>(١)</sup>، ولكن سلاطين المماليك عدوا بلاد اليمن جزءا من بلادهم لا سيما وانها كانت ضمن البلاد التي ورد ذكرها في كتاب التقليد الذي منحه الخليفة المستنصر بالله العباسي للظاهر بيبرس<sup>(٢)</sup>، وهذا يفسر حرص حكام اليمن على اقامة علاقات ودية مع دولة المماليك تمثلت بتبادل الوفود والهدايا بين الجانبين. وفي عصر سلاطين المماليك اكمل التطور العلمي مسيرته النهضوية في حقول المعرفة كافة بما فيها العلوم الطبية، وحرص سلاطينها على اقامة الصروح المعمارية كالمساجد والزوايا والخانقاه والمدارس فضلا عن البيمارستانات في كافة انحاء البلاد المصرية<sup>(٣)</sup>، التي وعلى الرغم من اضطراب بعضها بالصبغة الدينية الا انها ساهمت بإغناء الحركة الفكرية بحلقات الدرس التي كانت تقام فيها، ولم يتوقف هذا الاهتمام عند السلاطين وانما شمل كبار رجال الدولة وميسوري الحال من النساء والرجال<sup>(٤)</sup> رغبة في نشر العلم وطلبا للثواب والاجر، والقيت دروس الطب في هذه المراكز العلمية وعلى يد افضل اطباء ذلك العصر الذين حضوا باهتمام السلاطين ورعايتهم واجزلوا لهم العطاء تشجيعا لهم وتنميته لجهودهم العلمية<sup>(٥)</sup>. وشهدت البلاد المصرية نهضة طبية تزعمها الاطباء المسلمين وغير المسلمين من اهل الذمة، فتوجه اليها العلماء وطلبة العلم من كافة انحاء العالم الاسلامي للدراسة على ايدي اطبائها والافادة من علومهم، كما ارتبط اطباء البلاد المصرية بصلات علمية مع غيرهم من اطباء البلاد الاخرى، وطلبهم سلاطين تلك البلاد لغرض العلاج او تبادل الخبرات كسلاطين الدولة العثمانية، وسلاطين اليمن من بني رسول (٦٢٦هـ - ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩م - ١٤٥٤م) المعروفين بتعاطيهم الطب وبراعتهم به، وكان بلاطهم حافلا بالأطباء المسلمين، ومنهم الطبيب المصري صلاح الدين محمد بن ابراهيم<sup>(٦)</sup>؛ الذي استقبله السلطان المؤيد داوود (٦٩٦هـ - ٧٢١هـ/ ١٢٩٦م - ١٣٢١م) بحفاوة وبالغ في اكرامه واقام عنده مدة، وظلت تربطهما علاقات ودية حتى بعد رجوعه الى مصر وكان السلطان المؤيد يرسل الهدايا والرسائل للطبيب صلاح الدين يطلب فيها تزويده بما يحتاج اليه من العقاقير المصرية والمغربية فضلا عن الكتب الطبية، وكان الطبيب صلاح الدين يطلع السلطان المملوكي بهذه الرسائل، ويأخذ موافقته على تزويده بجميع ما يحتاج اليه<sup>(٧)</sup>، والطبيب مهدي بن علي بن ابراهيم<sup>(٨)</sup> الذي كان احد اطباء اليمن المعروفين ببراعته وتفوقه في علمه. اما اطباء الحجاز واليمن من اهل الذمة فلم تسعفا المصادر باي معلومات عنهم.

### ثانياً: إسهامات أهل الذمة الطبية في عصر المماليك:

تمتع أهل الذمة في البلاد المصرية وعلى العصور في مجتمعهم بمكانة سامية، وحرص سلاطين المماليك على أنبأ سياسة العدل والمساواة مع جميع رعاياهم بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية فتمتع اليهود والنصارى بما تمتع به المسلمين من حقوق والامتيازات ومنحوا حرية ممارسة شعائرهم الدينية في أماكن العبادة الخاصة بهم، واندمجوا مع باقي ابناء المجتمع. في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والتحقوا بالكتاتيب وحلقات العلم التي أقيمت خارج المسجد لاسيما في منازل العلماء. يقول أبْن الحاج<sup>(٩)</sup>: (بيوت العلماء عمرت بدروس العلم، فعقدت فيها المجالس العلمية، وكان من بين الحاضرين اليهود

(١) المقرئزي، السلوك، ج١، ص ٣٦٤؛ محمد بن يحيى الفيفي، الدولة الرسولية في اليمن، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م)، ص ٤٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٠٢.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج٤، ص ٩٦ و ١٠٢ و ٢٢٤ و ٢٦٨.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج٤، ص ٢٤٩ و ٢٥٦ و ٢٦١.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ص ٢٠٩؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط١، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ٣٢٩.

(٦) صلاح الدين محمد بن ابراهيم: البرهان الجرائحي، من الاطباء المشهورين في بلاد المصرية، توفي سنة ١٣٤٢/٧٤٣م). للمزيد ينظر: المقرئزي، السلوك، ج٢، ص ٦٨٣؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ١٥٠٥/٩١١م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٤٢١.

(٧) احمد عيسى، معجم الاطباء، (القاهرة، ١٩٤٢/١٣٦١م)، ص ٣٦٣.

(٨) مهدي بن علي بن ابراهيم: الصنبري اليمني المهجمي، احد الاطباء المعروفين ومؤلف كتاب الرحمة في الطب والحكمة، وافاه الاجل سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م. للمزيد ينظر، احمد عيسى، معجم الاطباء، ص ٤٩٦.

(٩) ابن الحاج، ابو عبد الله محمد، (ت ٧٧٣هـ / ١٣٣٦م)، المدخل، ج٢، القاهرة، دبت، ص ٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٨٢.

والمسيحيين)، ومن مميزات هذا النوع من التعليم ان يمكن لطالب العلم اختيار المدرس الذي يرغب بالتلمذ على يديه، والعلم الذي يرغب بتعليمه.

وظهر بشكل واضح الدور الفاعل لليهود والنصارى في الحركة الفكرية، وبرزوا على نحو خاص بالعلوم الطبية، وهذا ما يؤكد ابن الأخوة<sup>(١)</sup>: (اكثر ما يتعيش به اليهود والنصارى الطب، وتكاد تخلو بعض الاماكن من الأطباء المسلمين ولا يوجد فيها الا أطباء أهل الذمة).

أن الاهتمام بالعلم والتعليم لم يكن حكراً على فئة من المجتمع دون أخرى أو ديانته دون غيرها، فغالبية أبناء المجتمع لديهم الرغبة بتعليم اولادهم، لاسيما من ظهرت عليهم علامات النجاسة والذكاء منذ الصغر، فحرصوا على زجهم بحلقات الدرس التي أقيمت في المدارس أو منازل ومجالس العلماء وكذلك البيمارستانات التي كانت مركزاً تعليمياً لتعليم الطب، إلى جانب دورها في علاج المرضى، فتعلم الطبيب اليهودي يعقوب بن إسماعيل بن غانم السامري<sup>(٢)</sup> (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، الطب في مجالس شيوخ دمشق<sup>(٣)</sup>. والطبيب اليهودي السديد الدمياطي<sup>(٤)</sup> (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، الذي ظهر ذكائه منذ الصغر ورغب بتعليم الطب فالتحق بدروس العالم النابلسي<sup>(٥)</sup>، وابن النفيس (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) الذي لازمه وحرص على الافادة من علمه الغزير، وحضر مجالسه العلمية وظل ملازماً له حتى اتقن الطب والحكمة<sup>(٦)</sup>، والطبيب النصراني ابن القف الكركي<sup>(٧)</sup>، الذي تتبه والده هو الآخر لذكائه منذ الصغر فالحقه بدروس الطبيب ابن ابي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)؛ ثم بالطبيب عبد الحميد الحشروشاهي<sup>(٨)</sup> (ت ٦٥٢هـ) وبدأ بحفظ كتب الطب كمسائل حنين (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) وفصول ابقراط وكتب الرازي (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) واولقليدس<sup>(٩)</sup>.

ويمنح الطالب أذنًا بممارسة مهنته الطبية بعد أن يتقن تعليمه فيها، وهو بمثابة شهادة لممارسة مهنته. فالطبيب اليهودي فرج الله بن صغير<sup>(١٠)</sup> منح أولاً أذنًا بالكحالة<sup>(١١)</sup>، ومن ثم أذنًا بممارسة مهنة الطب<sup>(١٢)</sup>.

فأصبح لهم باع طويل في مجال الطب ونظرة ثاقبة في الكشف عن الامراض باستقصاء تاريخ المرض وحبس النبض ومراقبة درجة الحرارة واحتقان الوجه والعين والتنفس والأظافر ومن ثم وصف الدواء الملائم لكل مرض من الأمراض، واكتسبوا ثقة السلاطين

(١) محمد بن محمد القرشي، (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٧م)، معالم القرية في احكام الحسبة، صححه روبن لوي، (مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، ص ١٦٦.

(٢) يعقوب بن اسماعيل بن غانم السامري: أبو يوسف ولد ونشأ بدمشق عرف ببراعته بالطب وحذاقته بمعالجة الناس، وله العديد من المؤلفات الطبية، توفي في شهر رمضان سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وللمزيد ينظر: الصفدي، ت (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، ج ٢٨، تحقيق، أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٥.

(٣) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين احمد، (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الانباء، ج ١، تحقيق، نزار رضا، (دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت)، ص ٧٦٧.

(٤) السديد الدمياطي، من أطباء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، كان فاضلاً في الطب، ولم يكن في عصره مثله في العلاج، توفي سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج ١، تحقيق، فهم محمد شلتوت، (القاهرة، ١٩٧٩م)، ص ٣١٢.

(٥) النابلسي، عماد الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب كان اماماً في علم الطب، وتعلم على يديه العديد من علماء الطب، دفن في تربته التي بخارج باب النصر، للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ١٠٨.

(٦) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ٥، تحقيق محمد أمين، (القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٣٨٤.

(٧) ابن القف الكركي، أمين الدولة ابو الفرج بن موفق الدين بن اسحاق واصله من نصارى الكرك، ولي العديد من المناصب في بلاد الشام فضلاً عن عمله بالطب، توفي سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م). للمزيد ينظر: ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج ١، ص ٧٦٨.

(٨) عبد الحميد الخسرو شاهي، شمس الدين ابو محمد، أقام بالكرك وتفنن في علوم عدة منها الفلسفة والفقه والطب، توفي بدمشق سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، ودفن بجبل قاسيون. للمزيد ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد، (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ٤٨، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ١٢٥؛ الحنبلي، عبد الهي، (ت ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٥، تحقيق، عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٢٥٥.

(٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٨، ص ٨٥.

(١٠) فرج الله بن صغير، من احقق اطباء أهل الذمة علماً ونباهة التحق بخدمة السلطان وكبار رجال الدولة، ألا ان سنة وفاته غير معروفة. للمزيد ينظر: العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج ٩، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ص ٣٦٢- ٣٦٤.

(١١) الكحالة: الكحال هو من يداوي العين والكحل هو كل مايوضع في العين ويستشفى به مما ليس بسائل كالاثمد وغيره. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ج ١، تحقيق، مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة، د.ت)، ص ٧٧٨.

(١٢) العمري، مسالك الابصار، ج ٩، ص ٣٦٢.

وكبار رجال الدولة وعامة الناس، وفضلوا التطبب هم وأسروهم على أيديهم دون غيرهم من الأطباء، وكان الطبيب اليهودي السديد الديمياطي وأحد من أطباء السلطان الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١)</sup> (٧٠٩هـ-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م) وندمائهُ وكان السلطان يأخذ برأيه ويتبع نصحه وتشخيصه ويقول ابن تغري بردي<sup>(٢)</sup>: (فاذا عرض للسلطان عارض من مرض أمر بإحضار الأطباء وكان السديد الديمياطي يتقدمهم ويقوم بفحصه وجس نبضه والكشف عن رمضه، في حين يتولى رئيس الأطباء السؤال عن الأعراض بحضوره، ومن يتشاور مع الأطباء للوصول الى الداء ووصف الدواء، وفي كل هذا كانوا يعتمدون على تشخيص ووصف ابن السديد، وكان السلطان يهتم برأيه ويأخذ به دون الكل).

كما عين السلطان الناصر محمد؛ الطبيب اليهودي فرج الله بن صغير طبيباً للدور السلطانية ودور الحريم اللاتي فضلن التداوي عنده دون غيره من الأطباء<sup>(٣)</sup>.

وبعد معالجة الطبيب فتح الله بن مستعصم<sup>(٤)</sup> (٨١٦هـ/١٤١٣م) للسلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) أعجب السلطان بذكائه وعلمه فقربه وجعله احد ندمائه، وكان يعقد مجلسه معه فقط لبراعة فتح الدين بالأخبار ولغات الامم الاخرى<sup>(٥)</sup>. وهذه المنزلة السامية التي حضى بها أطباء أهل الذمة عند سلاطين المماليك دفعتهم لان يجزلوا لهم العطاء ويغذقوا عليهم بالهدايا والهبات ويخلعوا عليهم بالمناصب العالية كمنصب رئيس مصر والشام أو كليهما في بعض الاحيان وكذلك أسندوا مهمة التدريس في مدارس مشافي القاهرة وبلاد الشام وأشهرها على الإطلاق البيمارستان المنصوري<sup>(٦)</sup>، فالطبيب ابن المغربي<sup>(٧)</sup> عين رئيساً لأطباء مصر والشام<sup>(٨)</sup>، وكذلك الطبيب ابن ابي حليقة<sup>(٩)</sup>، وولي السديد الديمياطي ومهذب الدين بن الموفق<sup>(١٠)</sup> التدريس في البيمارستان المنصوري<sup>(١١)</sup>.

وأثارت المعاملة الحسنة والتكريم الذي تمتع به اطباء أهل الذمة من قبل السلاطين حفيظة وحسد بعض الاطباء المسلمين ممن كانوا يفتقرون المعرفة الكافية وكيفية التعامل مع المريض، فسعى بعض الحساد عند الامير تتكز<sup>(١٢)</sup> نائب الشام وحرصوه على الطبيب اليهودي الامين سليمان بن داود<sup>(١٣)</sup>، فحط من منزلته وعزله من منصب رئاسة الطب في دمشق، كما عرف عن الطبيب

(١) تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الحكم ثلاث مرات من (٦٩٣هـ-٦٩٤هـ، ٦٩٤هـ-٦٩٥هـ، ٦٩٥هـ-٦٩٦هـ) ومن (٦٩٨هـ-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٩م)، ومن (٧٠٩هـ-٧٠٩هـ) حتى وفاته سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١-١٣٠٩م). للمزيد ينظر: ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٢، ص٥٤، ص٥٦؛ الدوادري، أبو بكر عبد الله بن أبيك، (ت بعد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، ج٨، تحقيق أولرخ هارمان، (القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٣٥٢-٣٥٧، ج٩، ص٦.

(٢) المنهل الصافي، ج٥، ص٣٨٤.

(٣) العمري، مسالك، ج٩، ص٣٦٢-٣٦٤.

(٤) فتح الله بن مستعصم، بن نفيس فتح الدين الاسرائيلي الداودي التبريزي، كاتب السر، كفه عمه بديع بن نفيس بعد وفاة والده وبرع بالطب والخط، عرف ببخله الشديد، توفي مخنوقاً في الخامس من ربيع الأول سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م). للمزيد ينظر: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٦٦هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج٦، صححه، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١٥٠.

(٥) احمد عيسى، معجم الاطباء، (القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، ص٣٣٣.

(٦) البيمارستان المنصوري، أنشأه السلطان المنصور قلاوون في القاهرة سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) وبنى الى جواره المدرسة والقبه ووقف عليه الاوقاف الكثيرة. للمزيد ينظر، المقرئ، الخطط المقرئية، ج٤، ص٢٦٨.

(٧) ابن المغربي الاشبيلي: واسمه سليم وعندما اسلم بدل اسمه الى احمد، برع في علوم عدة تولى رئاسة الطب في الديار المصرية، توفي ليلة العشرين من صفر سنة (٧١٨هـ/١٣١٨م). للمزيد ينظر: المقرئ، السلوك، ج٢، ص١٦١.

(٨) احمد عيسى، معجم الاطباء، ص١٢٥.

(٩) ابن ابي حليقة: مهذب الدين محمد ابن ابي الوحش، وهو من أسرة طبية وافاه الاجل يوم الحادي عشر من رمضان سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م). للمزيد ينظر، المقرئ، السلوك، ج١، ص٧٥٤.

(١٠) مهذب الدين بن الموفق، ابو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب بن شمويل اليهودي ولي رئاسة جميع الطوائف اليهودية في كافة انحاء مصر سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، ووصل الى الرتبة الرفيعة في الطب. للمزيد ينظر، المقرئ، السلوك، ج٢، ص١٨٩؛ محمد عطية ابو هويشل، الاحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص١١.

(١١) المقرئ، السلوك، ج٢، ص١٨٩.

(١٢) تتكز، سيف الدين بن عبد الله الحسامي الناصري نائب الشام، توفي سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م). للمزيد ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر، (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، ج١، تحقيق علي محمد وعادل احمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م)، ص٢٦٢.

(١٣) سليمان بن داود بن سليمان امين الدين ابو الربيع، من أبناء النصارى، ورئيس اطباء الشام، تولى التدريس بالمدرسة الدخارية لبعض الوقت، توفي بمدينة دمشق في السادس والعشرين من شعبان سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م). للمزيد ينظر، ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تاريخ ابن الوردي، ج٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦هـ/١٤١٧م)، ص٢٨٩؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٠٠.

صلاح الدين محمد بن ابراهيم<sup>(١)</sup> ذمة المستمر لأطباء اليهود وكان يقول: (هؤلاء اليهود قد أرتفع رأسهم وامتلاؤا فوق وسعهم على جهلهم وقلة حاصلهم)<sup>(٢)</sup>، ويقصد بذلك السديد الدمياطي وفرج الله بن صغير<sup>(٣)</sup>. وشأنهم شأن العلماء المسلمين فقد اتخذوا الألقاب التي تشير لعلو منزلتهم في المجتمع كالشيخ الشمسي والشيخ الموفق<sup>(٤)</sup>، كما ونجد أن عدداً لا يستهان منهم قد اشتهر اسلامه فأتخذ اسماً جديداً أو أسقط الالف واللام من أول لقبه وازاد لها كلمة دين فأصبحت شمس الدين وموفق الدين، ومن ابرز الاطباء الذين أسلموا ابن المغربي (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) الذي كان اسمه سليم وعندما اسلم سمي نفسه أحمد<sup>(٥)</sup>، والطبيب عبد السيد بن اسحاق بن يحيى الاسرائيلي<sup>(٦)</sup> (ت ٧١٥هـ / ١٣١٥م) الذي كان يحضر مجالس الحديث وسمع المزي<sup>(٧)</sup> ونفيس التبريزي<sup>(٨)</sup> حتى هداه الله ودخل الاسلام فأصبح اسمه عبد السلام كما أسلم اولاده معه ايضاً<sup>(٩)</sup>.

ووصفت معالجة بعض الاطباء بالخارقة لقدراتهم الفائقة وحذاقتهم الكشف عن الامراض من تعابير وجه المريض وحركاته بمجرد النظر إليه فقد شخص الطبيب اليهودي فرج الله بن صغير حالة احد الاشخاص المقربين منه انه مصاب بداء الكلب قبل أن يعلم انه تعرض لعضة كلب او تظهر عليه الأعراض بشكل واضح وجلي، وزود المريض بتفاصيل تطور المرض والمدة التي سيبقى فيها على قيد الحياة<sup>(١٠)</sup>، وبالفعل حدث مثلاً قال بالضبط.

كما كانت لبعضهم رؤيته الخاصة في تفسير الحالات المرضية وطريقة تطورها التي خالفوا فيها أقرانهم من الأطباء وثبت بأن رأيهم كان صائباً، فعندما مرض والد المؤرخ العمري تولى علاجه عدداً من الأطباء من بينهم الطبيب اليهودي فرج الله بن صغير وبعد فترة من العلاج ظن الأطباء أنه برئ مما أصابه، ولكن الطبيب فرج الله خالفهم في ذلك ورأى أن المرض انتقل الى جزء آخر من جسمه، وأنه سيموت خلال مدة حددها له، وبالفعل صدق حدسه وحدث مثلاً توقع<sup>(١١)</sup>، وعندما أخطأ الطبيب ابن الوكيل<sup>(١٢)</sup> بعلاج نائب الشام الافرم<sup>(١٣)</sup>، تمكن الطبيب النصراني الامين سليمان بن داود الذي عرف بعجائبه في صناعة الطب، من علاجه، كما عالج شخصاً من بني صصري، كان يعاني نزلة متقدمة تعاوده بين فترة وأخرى، وبارأ رجلاً ثالث كان في وجهه ورم بلون أحمر وأزرق فعالجه حتى شفي من مرضه<sup>(١٤)</sup>، ونجح كذلك في علاج اسندمر<sup>(١٥)</sup> نائب طرابلس<sup>(١٦)</sup> من مرض حار الأطباء فيه، فكافئه بمبالغ طائلة قدرت

(١) العمري، مسالك الابصار، ج ٩، ص ٣٠٨.

(٢) احمد عيسى، معجم الاطباء، ص ٣٦٠.

(٣) احمد عيسى، معجم الاطباء، ص ٣٦٠.

(٤) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٤٦٠.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٦١.

(٦) عبد السيد بن اسحاق بن يحيى الاسرائيلي، بهاء الدين بن المهذب طبيب وكحال يهودي، توفي في السادس من جمادي الاخرة سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م، ودفن بسفح جبل قاسيون. للمزيد ينظر، الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، ج ٣، تحقيق، علي ابو زيد وآخرون، (دمشق، ١٩٩٨هـ / ١٤١٨م)، ص ٦٥.

(٧) الصفدي، أعيان العصر، ج ٣، ص ٦٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٦٢.

(٨) نفيس التبريزي: بن داود بن عانان الداودي التبريزي طبيب يهودي الديانة، قدم لمدينة القاهرة سنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) واتصل بالأمير قبلاي فعالجه من المفاصل وتقدم بعلم الطب، الزمه السلطان الناصر حسن في الدخول للإسلام ولكنه لم يوافق في البداية، ثم أسلم وسماه السلطان بعبد السلام، واقطعه اقطاعاً، ورتب له الرواتب. للمزيد ينظر: ابن حجر، احمد بن علي، (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٦، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، (مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، ص ١٦٢.

(٩) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٦، ص ١٦٢؛ احمد عيسى، معجم الاطباء، ص ٥٠٤.

(١٠) العمري، مسالك الابصار، ج ٩، ص ٣٦٣.

(١١) العمري، مسالك الابصار، ج ٩، ص ٣٦٤.

(١٢) ابن الوكيل، محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد الأمدي حيدر الدين بن الوكيل وابن المرحل، توفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٢٦هـ في مصر. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٣٨٢.

(١٣) الافرم، أقوش بن عبد الله الودادري المنصورى وهو من ممالك السلطان المنصور قلاوون، توفي بالفالج سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) في همدان. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣، ص ٩-١٤.

(١٤) العمري، مسالك، ج ٩، ص ٣٠٧.

(١٥) اسندمر، بن عبد الله الكرجي نائب طرابلس ثم حلب، توفي محبوساً في الكرك سنة (٧١١هـ / ١٣١١م). للمزيد ينظر، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ١٣٢.

(١٦) طرابلس، احدى قواعد الشام ومدنها العظام وتقع على ساحل البحر. للمزيد ينظر، ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الاعصار وعجائب الاسفار، ج ١، تحقيق علي المنتصر الكنانى، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م)، ص ٨٣.

بأربعين ألف درهم، وكما عاوده المرض ثانية عالجته منه، فأغدق عليه بمبلغ عشرين ألف درهم<sup>(١)</sup>، مما حدا بمعاصريهم الى مدحهم وانضمامهم فيقول الشيخ الزملاكاني (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م): (ما رأيت في المسلمين أصح من ذهن البرهان الزرعي، وفي غير المسلمين من ابي الفتح السامري<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>.

وأهتم أطباء البلاد المصرية من أهل الذمة شأنهم شأن الأطباء المسلمين بالجانب الانساني والنفسي في تعاملهم مع المريض، وحرصوا على رفع معنويات المريض والتخفيف من آلامه الجسدية وأبعاده عما يعتريه من مشاعر الخوف والحزن، وعرف عن الطبيب اليهودي فرج الله بن صغير شدة حرصه في إرضاء المريض، ويصفه العمري<sup>(٤)</sup>، قائلاً: (ويود لو نزع من جسده ثوب العافية والبسه المريض وإذا كره المريض او عن حضره غداء أو دواء بدله بغيره، فأن كرهوه ابدله بغيره، بفعل هكذا حتى يصيب موافقة من رضاهم او مقاربة، وكان يرى أن هذا اجدى في نفع المريض).

ووضع الأطباء مؤلفات خاصة بالصحة النفسية كالطبيب ابن القف الكركي الذي ألف كتاب (الشافي في الطب) ويتألف من ١٢ مقالة وأكد من خلالها على أهمية الحالة النفسية وأثرها في صحة بدن الانسان<sup>(٥)</sup>.

وكان لهم السبق العلمي في الوصول لطرق جديدة في العلاج لم تكن مستخدمة من قبل فالطبيب فرج الله بن صغير أول من توصل الى العلاقة التي تربط بين قدم الانسان والامراض التي تظهر في بدنه، ويقول العمري<sup>(٦)</sup>: (عرض لي مرة دوار صفراوي، فأمر بماء فأسخن فوق الاسخان المستطاب، ثم شد قدمي بأنشوطة من فوق الكعبين وأمر بتدليتهما في ذلك الماء وتعجيل حل الانشوطة عند تدليتهما في الماء، ففعل ذلك، ثم أمر بإطالة اللبث ثم حكها بالحجر الخشن والملح والنخالة، فلم يكن أسرع من زوال ذلك الدوار لانعكاس المادة، وتفتح المسام في أسفل القدم، وأثر ذلك لساعته).

وعندما أراد المؤرخ ابن فضل الله العمري الخروج للحج سأل الطبيب فرج الله بن صغير عن دواء يأخذه ليتحمل حر الصيف الشديد أثناء السفر فنصحته بأن يصنع على صدره خليط من بزر قطونا<sup>(٧)</sup>، مع الماء وقليل من الخل، فنفذ العمري ما نصحه به الطبيب ويقول (كنت أنا ومن معي نعمله ونركب في الهواجر المتوقدة والقيظ المضطرم، ونحن نظن أن على صدورنا قطع الثلج، ولا نحس ما الحر ولا ندري ما السموم)<sup>(٨)</sup>، وكان الطبيب العلم ابن ابي حليقة<sup>(٩)</sup> أول من ركب شراب الورد ولم يكن معروفاً في دمشق من قبل<sup>(١٠)</sup>، وابتكر الطبيب ابن القف الكركي طرقة جديدة في الجراحة، فعد من أعظم جراحي العرب بعد الزهراوي المتوفى بعد سنة (٤٠٠هـ/ ١٠١٣م)، ففي كتابه العمدة في الجراحة شرح بشكل مفصل طريقة جراحة كل عضو من أعضاء جسم الإنسان ونوع المخدر الذي يستخدم أثناء الجراحة<sup>(١١)</sup>.

(١) العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص ٣٠٧-٣٠٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص ٣٧٨.

(٢) ابو الفتح السامري، الفتح بن يوسف بن اسحاق بن مسلم وهو آخر من بقي في الاقليمين وصلاح للتعليمين وبرع في فروع الطب. للمزيد ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص ٣٠٩.

(٣) العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص ٣١٠.

(٤) مسالك الابصار، ج٩، ص ٣٦٢.

(٥) [www.ishim.net/2009](http://www.ishim.net/2009)

عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير، الطب في عصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص ٢٠.

(٦) مسالك الابصار، ج٩، ص ٣٦٤.

(٧) بزر قطونا، بذور لنبات عشبي حولي من فصيلة لسان الحمل ينبت في الاراضي الرملية في بلاد مصر وبلاد حوض البحر المتوسط. للمزيد ينظر، مجموعة مؤلفون، المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٤.

(٨) العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص ٣٦٤.

(٩) العلم بن ابي حليقة، ابراهيم بن الرشيد بن ابي الوحش بن ابي حليقة واصل والده من نصارى القدس، توفي بمصر سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م). للمزيد ينظر: المقرئ، السيلوك، ج١، ص ١٦٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٢٠.

(١٠) الصقاعي، فضل الله بن ابي الخير، (ت بعد سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، تالي كتاب وفيات الاعيان، بتحقيق جاكين سوبلة، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٤٦؛ أحمد عيسى، معجم الاطباء، ص ٢١٩.

(١١) ابن القف الكركي، ابو الفرج بن موفق الدين، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، العمدة في الجراحة، (مطابع دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد، الدكن، د.ت)، ص ٤، ص ٦، ص ١٠؛ عمار محمد النهار، دور الاخر ونشاط في عصر المماليك، ٢٠٠٧م، ص ١٩-٣٥؛ [www.books.Openedion.org](http://www.books.Openedion.org)

ومن الملاحظ على الأطباء بشكل عام وأطباء أهل الذمة بشكل خاص أنهم أَلَمُوا بمعارف أخرى إلى جانب الطب كالحساب والفلك والكيمياء واللغة والموسيقى والفلسفة، حتى اشترط بعضهم أن يتعلم الطالب هذه العلوم قبل دراسة الطب للعلاقة الوثيقة التي تربط الطب بهذه العلوم، ويصف الرازي<sup>(١)</sup> (ت ٤٠٠هـ / ١٠١٣م) الطبيب الناجح بقوله: (أن يكون قادراً على فهم ما يقرأ، وأن يكثر من القراءة في الكتب ودائم الاتصال بالفلاسفة والمفكرين وأن يعرف الهندسة والنجوم وإلا فإنه لا يعرف تقسيم الأزمنة، وحال البلدان، كما يجب أن يعرف المنطق وإلا فلا...)، فبرع أطباء أهل الذمة بعلوم ومعارف أخرى إلى جانب الطب كالسديد الدمياطي الذي كان عارفاً بالموسيقى والطرب<sup>(٢)</sup>، والحساب وعلم الطبيعة<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن الطب، يقول العمري<sup>(٤)</sup>: (وأخذ من كل فن بطرق، واذعن كل فاضل له وأعترف، وكان يحفظ غالب ديوان ابو الطيب المتنبى بل كله، وينشد منه ويستشهد به في موضوعه إذا تكلم). وكذلك الطبيب زين الدين خضر الأسرائيلي الحكيم<sup>(٥)</sup> الذي عرف بولعه الشديد بالشعر وكان يحفظه ويذاكره وينشد القريض من محفوظه<sup>(٦)</sup>، في حين تميز الطبيب اليهودي سليمان بن جنيئة<sup>(٧)</sup> بالخط وعرف بجودة خطه وعمل خطاطاً إلى جانب الطب<sup>(٨)</sup>.

كما نلاحظ أن بعض الأطباء قد برعوا بفرع معين من فروع الطب المتعددة وتميزوا به وهو ما نطلق عليه التخصص الطبي فكان منهم الطبائعيون<sup>(٩)</sup> والكحالون وأطباء المفاصل والفم والاسنان، فضلاً عن الجراحون، فعلى سبيل المثال أختص الطبيب نفيس بن داود غانان بمعالجة الآم المفصل وعالج الامير قبلاي<sup>(١٠)</sup> من آلام مفاصله التي كان تعاوده بين فترة وأخرى حتى برأ من مرضه، فذاع صيته وطلبه السلطان الناصر حسن (٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦٠م) وجعله من بين الأطباء الخاصين به<sup>(١١)</sup>.

وأشتهر الطبيب اليهودي عبد السيد بن اسحاق والطبيب اليهودي فرج الله بن صغير بالكحالة ومعالجة امراض العين<sup>(١٢)</sup>، وبرع الطبيب النصراني ابن القف الكركي بالجراحة وكان على دراية تامة بأنواع الجراحات والطرق المتبعة في الجراحة وحدد لكل واحدة منها ما يلائمها من التخدير<sup>(١٣)</sup>. وصلته العميقة بالجيش كان لها أثر كبير في زيادة خبرته ومهارته بالجراحة<sup>(١٤)</sup>، واختص الطبيب اليهودي أسيدة<sup>(١٥)</sup> بالجراحة والكحالة ولكنه برع بالجراحة وكان يجبر مايكسر ويهاض من العظم واجرى الجراحات العظيمة للأمراء المماليك كالأمير بدر الدين بيدرا<sup>(١٦)</sup> نائب عكا، وعلم الدين سنجر الدواداري<sup>(١٧)</sup>، وكان يخدر مريضه قبل أن يجري له الجراحة ليسهل عليه

(١) الرازي، أبو بكر محمد، (ت ٤٠٠هـ / ١٠١٣م)، الحاوي في الطب، ج٧، تحقيق: هيثم خليفة طعيمة، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (٢٠٠٢م)، ص٤٦٦.

(٢) العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص٣٦٢.

(٣) الصفدي، فوات الوفيات، ج١٥، ص٨٠.

(٤) مسالك الايضا، ج٩، ص٣٦٢.

(٥) خضر الاسرائيلي الحكيم، زين الدين الزولي اليهودي الاصل أمر السلطان الاشرف برساي بتوسطه سنة (٨٤١هـ / ١٤٣٧م). للمزيد ينظر، ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، أنباء العمر بأبناء العمر، ج٤، تحقيق، حسن حبشي، (القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، ص٧٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٥.

(٦) ابن حجر، انباء الغمر، ج٤، ص٧٣.

(٧) سليمان بن جنيئة، علم الدين يهودي الاصل، ولي رئاسة الطب توفي في السادس عشر من صفر سنة (٨٢٤هـ / ١٤٢١م)، عن عمر يناهز الثمانين عاماً. للمزيد ينظر، أحمد عيسى، معجم الاطباء، ص٢٠٦.

(٨) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٤٠٦.

(٩) الطبائعيون وهم الاطباء والذين يتصدون لعلاج الامراض الباطنية وكان يشترط في الواحد منهم ان يكون عارفاً بتركيب البدن ومزاج الاعضاء الداخلية والامراض التي تحدث فيها واسبابها واعراضها وعلاماتها والادوية النافعة لها. للمزيد ينظر، ابن الاخوة، معالم القرية، ص٢٥٤؛ احمد عبد الرزاق احمد، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، (دار الفكر العربي، ١٩٩٩م)، ص١٥١.

(١٠) قبلاي، سيف الدين بن عبد الله الناصري، واصله من ممالك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولي نيابة الكرك ثم وولي الحوجبية الثانية بمصر، ثم نقل الى الحوجبية الكبرى بها ثم ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية في عهد السلطان الصالح صالح بن محمد بن قلاوون. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٢١، ٢٧٢.

(١١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٦، ص١٦٢-١٦٣.

(١٢) العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص٣٦٣؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص٦٥.

(١٣) القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م)، ص١١٦٦.

(١٤) نشأت الحمارة، "العصر الذهبي للممارسة الطبية - مدرسة دمشق"، مجلة التراث اتحاد الكتاب العرب، العدد الخاص بدمشق عاصمة الثقافة العربية، (دمشق، ٢٠٠٨م)، ص٢٤١.

(١٥) أسيدة، أسد الحكيم اليهودي ويعرف بأسيدة، أشتهر بالجراحة والكحل وعالج العديد من الامراء، توفي بعد سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م). للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي، ج٩، ص٨٠-٧٨.

(١٦) بدر الدين بيدرا بن عبد الله المنصوري نائب السلطنة في عهد السلطان الاشرف خليل بن قلاوون، بوبع بالسلطنة ولقب بالقاهر ولم يتم أمره فقتله ممالك الاشراق خليل في الثالث عشر من محرم سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م). للمزيد ينظر، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٩٣.

اجراءها<sup>(٢)</sup>، يقول الصفدي<sup>(٣)</sup>: (كان مره بصفد<sup>(٤)</sup> قد عالج نائب القلعة الامير سيف الدين بلبان<sup>(٥)</sup> الجوكندار<sup>(٦)</sup> فسقاه مرقدًا ليتمكن من الجراح فلما رأى مماليكه عمل الحديد في الامير وهو لا يشعر جذبوا السيوف وجاعوه، فعرض هو على أنف الامير عرضه الى أن انتبه من مرقدته وانكر عليه هذا الفعل فقال: أنفك اعالجه بالمرهم ويبرأ لا يضرب عنقي مماليكك).

ومنذ البداية ارتبط الطب بالصيدلية، فأحدى شروط الطبيب الماهر من يجيد معرفة الادوية والنافع منها او الضار ومدى ملائمتها لكل داء، وأن يكون قادراً على ابدال دواء محل الاخر، وأن يعرف اعمار الادوية وأنواعها ويتمكن من تركيبها وصناعتها، فالطبيب يجمع الطب مع الصيدلية في الوقت نفسه فيقوم بوصف الدواء ومن ثم تركيبه وإعطائه لمرضاه، ومن أبرز أطباء أهل الذمة الذين جمعوا بين العلمين كوهين العطار<sup>(٧)</sup> صاحب كتاب (مناهج الدكان ودستور الأعيان في امال وتركيب الادوية النافعة للابدان)؛ الذي يعد موسوعة صيدلانية ودائرة معارف طبية<sup>(٨)</sup>، والطبيب ابن القف الكركي الذي جمع مع مهارته بالجراحة مقدرة على تركيب الادوية والمستحضرات الصيدلانية<sup>(٩)</sup>.

ومثلما توارث الابناء مهنة آبائهم في الصناعات والحرف المختلفة فقد توارث الابناء كذلك من آبائهم صنعة الطب وظهرت العديد من الأسر الطبية في البلاد المصرية من أهل الذمة كأسرة أبي المنى<sup>(١٠)</sup> النصرانية التي توارث ابنائها مهنة الطب والتحقوا بخدمة الخلفاء الفاطميين ثم السلاطين الايوبيين ومن بعدهم المماليك ومن ابرز اطباء هذه الاسرة في العصر المملوكي ابو الوحش المعروف بأبي حليقة<sup>(١١)</sup> (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م)، الذي اورث الطب من بعده لأولاده الثلاثة<sup>(١٢)</sup>، وأظهروا تفوقهم وبراعتهم فيه حتى وصلوا الى المراتب الرفيعة<sup>(١٣)</sup>، ونذكر أيضاً أسرة ابن كوجك الطبية - وكوجك بالعربية تعني الصغير - وهي من الأسر اليهودية التي تعود في أصلها الى بلاد العجم، وبعد انتقالها الى مصر أرثأى بعضاً من أبنائها تعريب لقبهم، فتلقبوا بالصغير في حين فضل البعض الآخر من هذه الاسرة الاحتفاظ بلقبها الاعجمي<sup>(١٤)</sup>، ومن أشهر اطباء هذه الاسرة السيد الدمياطي المعروف بأبن كوجك، الذي لقب بجالينوس زمانه في الطب<sup>(١٥)</sup>، والطبيب فرج الله بن صغير الذي ارتقى هو الآخر بعلمه ودقة تشخيصه للأمراض حتى أصبح أحد الاعلام المعروفين في عصره<sup>(١٦)</sup>.

- (71) علم الدين سنجر، بن عبد الله البرنلي التركي الصالح النجمي الامير الكبير ابو موسى الدواداري، أحد أمراء الالوف ونائب السلطنة توفي سنة (١٢٩٩هـ/١٣٠٠م). للمزيد ينظر، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٦٨.
- (١٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٨-٧.
- (٣) الوافي بالوفيات، ج٩، ص٨.
- (٤) صفد، قاعدة من قواعد البلاد الشامية، وهي مدينة متوسطة الكبر تابعة الى جند الاردن. للمزيد ينظر: القلقشندي، احمد بن علي، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط٢، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ج٤، ص١٥٤.
- (٥) سيف الدين بلبان، المنصوري الجوكندار ولي نيابة صفد وشد دواوين دمشق ونيابة قلعتها ثم نقل الى نيابة حمص، وتوفي بها سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م). للمزيد ينظر، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٠.
- (٦) الجوكندار، هو الذي يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة. للمزيد ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، (القاهرة، ١٩٦٥ م)، ص٤٠٧.
- (٧) كوهين العطار، ابو المنى داود بن ابي نصر العطار الهاروني المورق، عاش في مصر في حدود عام (٦٥٨هـ/١٢٦٠م). للمزيد ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٨٧١، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١، (مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ص٧٠٣.
- (٨) ورود نوري حسين، "الصيدلاني في العصر المملوكي كوهين العطار نموذجاً"، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (العدد ٢١، لسنة ٢٠١٥)، ص١٠٦.
- (٩) عمار محمد النهار، دور الاخر ونشاط في عصر المماليك، ص١٩-٣٥.
- (١٠) وتنتمي هذه الأسرة الى ابي سليمان داود بن ابي المنى بن فانة وورثة اولاده من بعده في هذه الصنعة وهم ابو سعيد مذهب الدين بن ابي سليمان وابو شاكر موفق الدين بن ابي سليمان وابو النصر بن ابي سليمان، وابو الفضل بن ابي سليمان. للمزيد ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٥٣٦-٥٣٩.
- (١١) ابو الوحش، بن الفارس بن ابي الخير بن ابي سليمان بن داود بن ابي المنى بن فانة، توفي بمصر سنة (٦٧٠هـ/٢٧١م). للمزيد ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٥٣٩-٥٤٧.
- (١٢) وهم علم الدين ابراهيم بن ابي الوحش (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م) ومذهب الدين ابو سعيد محمد (من علماء القرن ٧هـ/١٣م) وموفق الدين ابو الخير احمد الذي كان كاحلاً. للمزيد ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٥٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص١٣٤.
- (١٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٥٤٨.
- (١٤) احمد عيسى، معجم الأطباء، ص٢٠٠.
- (١٥) العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص٣٦٢-٣٦١.
- (١٦) الصفدي، الوافي، ج١٥، ص٨.

ولم يسلم أطباء أهل الذمة من غضب وسخط السلاطين عليهم وتعرضوا للاضطهاد وحتى القتل في بعض الأحيان فقد كان الطبيب اليهودي الخضر الحكيم أحد الأطباء الذين تولوا الأشرف على حالة السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١م) المرضية في مرض موته مع رئيس الأطباء ابن العفيف الاسلمي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م) وبعد مدة من العلاج تطورت حالة السلطان نحو الأسوء وفشلت كل أنواع العلاج معه، فبدأت الوسواس تراود السلطان تجاههما لاسيما وأن السلطان الأشرف معروف عنه كثرة خوفه على نفسه وعدم ثقته بأحد، وعندما سقاه ابن العفيف دواءً جديداً ساءت حالة السلطان ونشف دماغه وظن أنها قد عكسا مزاجه<sup>(١)</sup>، فغضب السلطان على ابن العفيف وأمر بتوسيطه<sup>(٢)</sup> وبينما هو يعطي أوامره هذه لوالي القاهرة<sup>(٣)</sup>، دخل عليه الخضر الحكيم فأمر بتوسيطه أيضاً، وبعد فترة من الزمن ومراجعات عديدة للسلطان للعدول عن أوامره نفذ فيها الحكم<sup>(٤)</sup>، وتعد هذه الجريمة من أبشع الجرائم بحق الأطباء، وتكررت هذه الحالة عندما أصيب السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م) بمرض الموت وظن أن الأطباء قد تكاسلوا في معالجته وهددهم بالعقوبة التي عاقبها السلطان الأشرف برسباي للعفيف والخضر، فهرب احد رؤساء الطب واختبأ به بداره خوفاً من العقوبة<sup>(٥)</sup>، كما أشتراط السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) أن يكون الاطباء العاملين في بیمارستانه من المسلمين حصراً<sup>(٦)</sup>، ولكنه لم يلتزم بقراره هذا فأصدر العديد من القرارات التي حملت توقيعها تأمر بتولي أطباء أهل الذمة مهمة النظر والعمل في بیمارستان<sup>(٧)</sup>، كما وتتسم هذه الاجراءات بأنها أمنية ومؤقتة واذ سرعان ما تعود عليه الأمور الى ما كانت عليه من قبل. ونهج الأطباء في علومهم الطبية نهجين الأول منها تعليمي تمثل بتدريس علوم الطب في بیمارستان ودور العلم وحلقات الدرس كأبن العبري<sup>(٨)</sup> (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) الذي درس في دار العلم بطرابلس، التي تعد من المراكز العلمية المهمة التي درست فيها مختلف أنواع العلوم ومنها العلوم الطبية فقصدها دارسو العلم من كل مكان<sup>(٩)</sup>، وتولى الطبيب اليهودي مهذب الدين بن أبي حليقة التدريس في بیمارستان المنصوري<sup>(١٠)</sup>، ويعقوب بن اسماعيل السامري الذي كانت له حلقة اشغال وتدريس للطب في دمشق<sup>(١١)</sup>، والطبيب اليهودي سليمان بن داود (٧٣٢هـ/١٣٣١م) الذي ولي التدريس بالمدرسة الدخارية<sup>(١٢)</sup> بدمشق<sup>(١٣)</sup>. والاتجاه الثاني منها اتجه نحو التأليف فلم يكتف أطباء البلاد المصرية بالدراسة والتعليم على كتب جالينوس وابقراط، وانما وضعوا الكتب الطبية التي وصفوا بها أنواع الامراض وطرق علاجها، وحلت هذه المؤلفات محل كتب جالينوس وابقراط لمن يريد تعلم الطب من الطلبة<sup>(١٤)</sup>، ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب (شرح كليات القانون) لابن سينا، وكتاب (المدخل الى علم المنطق الطبيعي والالهي) للطبيب يعقوب السامري<sup>(١٥)</sup>، وكتاب (العمدة في صناعة الجراحة وشرح الفصول لابقراط) و(شرح الكليات من قانون ابن سينا)، و(الشافى في الطب) وكتاب (جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض) لابن القف الكركي<sup>(١٦)</sup>.

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) التوسيط، وهي عقوبة تقضي بضرب المحكوم عليه بواسطة السيف وتكون الضربة تحت الصرة فينقسم الجسد الى نصفين من وسطه. للمزيد ينظر، سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٠٢.

(٣) والي القاهرة: وتسند هذه الوظيفة لمن يكون في أسرة طبلخانة، ومهمته ادارة شؤون القاهرة وضواحيها. للمزيد ينظر، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٢٣.

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٤، ص ٧٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٨٥.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٥٣.

(٦) ابن حبيب، درة الاسلاك، ج ١، ص ٣٦٦.

(٧) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٨٩؛ محمد عطية ابو هويشل، الاحوال الصحية، ص ٦٧.

(٨) ابن العبري: غريغوريوس بن هارون الملطي طبيب يهودي ومؤرخ وحكيم لاهوتي، ولد بملطية وتوفي بمراغة من اذربيجان ونقل جثمانه الى الموصل ودفن بها سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٦م). للمزيد ينظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٦٠٣.

(٩) محمد عطية ابو هويشل، الاحوال الصحية، ص ٦٧.

(١٠) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٨٩؛ محمد عطية ابو هويشل، الاحوال الصحية، ص ٦٧.

(١١) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٧٦٧.

(١٢) الدخارية: وتقع الى جوار الجامع الاموي بدمشق، انشأها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م). للمزيد ينظر، النعمي، عبد القادر محمد الدارس في تاريخ المدارس، ج ٢، تحقيق: أبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م)، ص ١٠٠.

(١٣) ابن كثير، البداية، ج ١، ص ١٧٤؛ النعمي، الدارس، ج ٢، ص ١٠٤.

(١٤) لطف الله كاري، "كتب المدارس الطبية في الحضارة العربية الاسلامية"، بحث منشور اعمال ندوة المدارس الطبية في الحضارة الاسلامية، (طرابلس، ٢٠٠٦م)، ص ١٩٠-١٩٤.

(١٥) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٧٦٧.

(١٦) الصقاعي، تالي، ص ٤٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٥٦٥؛ ج ٢، ص ١١٦٦.



ومثلما أهتم الايوبيون بالطب واولوه عناية خاصة لحاجتهم اليه في حروبهم ضد الصليبيين، فقد سار المماليك على النهج نفسه بالاهتمام والرعاية للجانب الطبي فلا زالت الحروب الصليبية مستمرة بين الجانبين وأن انتهت في عهد السلطان الاشرف خليل (٦٩٠-٦٩٣هـ/١٢٩١-١٢٩٣م) سنة ٦٩١ هـ/ ١٢٩٢م<sup>(١)</sup>، الا أن الصدام مع الصليبيين ومن ثم المغول استمر بين الحين والآخر بعد ذلك، كحملة سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)<sup>(٢)</sup> وحملة سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)<sup>(٣)</sup>، فضلا عن عوامل أخرى دفعت المماليك للاهتمام بالطب تمثلت بكثرة الأوبئة والأمراض التي اجتاحت البلاد المصرية<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن رغبتهم في خلق قاعدة جماهيرية مؤيدة لهم كونهم من أصول غير عربية قادمة عن طريق الرق<sup>(٥)</sup>، فاتجهوا نحو إقامة الصروح العمرانية كالمساجد والمدارس والبيمارستانات التي اسهمت بدور فاعل في التطور العلمي ولا سيما العلوم الطبية، وشجعوا دارسي العلم على الانخراط لهذه المراكز العلمية بما وفروه من تسهيلات لهم كتوفر الكتب اللازمة وتقديم الطعام والإقامة فيها<sup>(٦)</sup>، وأهم هذه المراكز العلمية بيمارستان المنصوري<sup>(٧)</sup> والبيمارستان المؤيدي<sup>(٨)</sup>، ومدرسة ابن المغربي<sup>(٩)</sup> في القاهرة والمدرسة الدخاوية<sup>(١٠)</sup> واللبودية<sup>(١١)</sup> في بلاد الشام<sup>(١٢)</sup>.

#### ❖ الخلاصة: بعد استعراضنا لدور اهل الذمة واسهاماتهم الطبية في دولة المماليك تم الوصول الى النتائج التالية:

- ١- كان لروح التسامح والانفتاح التي حملها الإسلام أثر كبير في تكوين مجتمع انصهرت فيه شعوب ذات اجناس مختلفة، وعقائد متباينة، ومذاهب متعددة، مما جعلها تتفاعل وتندمج اجتماعياً وتبدع فكرياً وثقافياً.
- ٢- مثل العصر العباسي قمة الابداع الحضاري والتنوع العلمي في شتى العلوم والمعارف وكان لأهل الذمة بصمة واضحة في ترجمة وتأليف العديد من الكتب والمؤلفات وتولية العديد من المهن وخاصة الطب والصيدلة التي برع فيها الكثير من اهل الذمة حتى كانوا اقرب ما يكون للخلفاء العباسيين في الحفاظ على حياتهم ومشورتهم الطبية فيما اشكل على البلاد مما كان يصيبها من المحن في الأوبئة والامراض وغيرها.
- ٣- تميزت الحضارة العربية والإسلامية في عهد المماليك بالشمولية، فقد ساهم فيها كل اطياف المجتمع واديانه المتعددة، فلم تقتصر على طائفة او دين بعينه، مما اعطاها سمة التفرد والتميز عن غيرها من الحضارات المعاصرة لها، وعملوا مجتمعين على اغناء الفكر بمختلف انواع العلوم ومنها العلوم الطبية.
- ٤- اكمل سلاطين المماليك ما بداه العرب المسلمين من اهتمام بتحقيق التطور السياسي والاداري والعلمي وتهيأت لهم السبل لتحقيق ذلك لاستقرار احوال البلاد من الناحية السياسية وانتعاش اوضاعها الاقتصادية لكثرة الاموال فأصبحت قبلة للعلماء من كافة انحاء الدولة العربية الاسلامية للإفادة من مراكزها العلمية وملاذاهم لهم للتخلص من سوء الاوضاع في بلادهم.
- ٥- شهدت البلاد المصرية حركة دؤوبة من قبل سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة وميسوري الحال من النساء والرجال لإقامة الصروح العمرانية والمراكز التعليمية التي ضمت صفوفاً لتعليم الطب من قبل افضل اطباء البلاد المصرية من المسلمين واهل الذمة وساهمت بتخريج العديد من الاطباء وبمختلف الاختصاصات الطبية كالجراحة والباطنية والمفاصل وغيرها.

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص٥.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٢٨٣.

(٣) ابن حجر، انباء الغمر، ج٢، ص١٣٤.

(٤) المقرئزي، تقى احمد بن علي (ت ١٤٤١/٨٤٥م)، أغاثة الامة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال، ط٣، القاهرة، (١٤٢٢/٥١٤٢٢م)، ص٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٠.

(٥) احمد مختار العبادي، في تاريخ الايوبيين والمماليك، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥)، ص٤٥، ص١١٨.

(٦) محمد عطية ابو هويشل، الاحوال الصحية، ص٦٠.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٧٧.

(٨) المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٧١.

(٩) بناها رئيس الاطباء صلاح الدين يوسف بن المغربي. للمزيد ينظر: المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٤٥.

(١٠) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٠٠.

(١١) اللبودية، مدرسة تقع خارج دمشق انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م). للمزيد ينظر: عبد القادر بن بدران، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، ج١، تحقيق، زهير الشاويش، (ط٢، بيروت، ١٩٨٥)، ص٢٥٧.

(١٢) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٠٦.

- ٦- اتصف اطباء اهل الذمة بالموسوعية فقد الموا بمعارف اخرى الى جانب الطب كالفلك والرياضيات والكيمياء والموسيقى والادب ايماننا منهم بالعلاقة التي تربط العلوم المختلفة واثرا الايجابي والمفيد لمن يريد اتقان هذه المهنة، كما برع اطباء اهل الذمة بالصيدلة وعرفوا تركيب الدواء وكيفية صنعه.
- ٧- ساهم اهل الذمة من الاطباء في اغناء المكتبة العربية بمؤلفاتهم الطبية في الجراحة وطب العيون والامراض الباطنية والصحة الجسدية والنفسية فطبعت العديد من هذه المؤلفات ولا زال البعض الاخر مخطوطا واصبحت مرجعا لطلبة الطب حتى وقتنا الحاضر.
- ٨- حذق اطباء اهل الذمة بتشخيصهم للحالات المرضية المستعصية وتقردهم بنظرته الثاقبة في الكشف عن الامراض ووصف العلاج المناسب لها فضلا عما حققوه من كشوفات طبية لم يسبقهم اليها احد من قبل.
- ٩- تمتع اهل الذمة بمكانة متميزة في المجتمع المصري وكانوا من المقربين للسلطين وامراء المماليك وتبوؤا المناصب الهامة في الدولة كمنصب رئاسة الطب في البلاد المصرية.

#### ❖ قائمة المصادر والمراجع

- ابن الاخوة، محمد بن محمد القرشي، (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٧م).
- ١- معالم القرية في احكام الحسبة، صححه روبن لوي، (مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).
- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين احمد، (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).
- ٢- عيون الانباء، تحقيق، نزار رضا، (دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت).
- ابن اياس، محمد، (ت ٩٢٣هـ / ١٥١٧م).
- ٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).
- ٤- تحفة النظار في غرائب الاعصار وعجائب الاسفار، ج١، تحقيق علي المنتصر الكنانى، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).
- البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ / ٩٢٣م).
- ٥- المحاسن والمساوي، تصحيح، محمد بدر الدين، (مصر، ١٩٠٦م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).
- ٦- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق، فهيم محمد شلتوت، (القاهرة، ١٩٧٩ م).
- ٧- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، (القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).
- ٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م).
- ابن جلجل، سليمان بن حسان (ت بعد ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).
- ٩- طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، ١٩٥٥م).
- ابن الحاج، ابو عبد الله محمد، (ت ٧٧٣هـ / ١٣٣٦م).
- ١٠- المدخل، (القاهرة، د.ت).
- ابن حبيب، الحسن بن عمر، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)،
- ١١- تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، (دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م).
- ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)،
- ١٢- أنباء العمر بأبناء العمر، تحقيق، حسن حبشي، (القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

- ١٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الحموي، ياقوت، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
  - ١٤- معجم البلدان، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
  - الحنبلي، عبد الحي، (ت ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م).
  - ١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، عبد القادر الارنؤوط ومحمود الارنؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
  - ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
  - ١٦- تاريخ ابن خلدون، اعتنى به ابو صهيب الكرمي، (بيت الافكار الدولية، الاردن، عمان، د.ت).
  - الدوادري، أبو بكر عبد الله بن أبيك، (ت بعد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م).
  - ١٧- كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، ج٨، تحقيق أولرخ هارمان، (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
  - الدياركري، حسين بن محمد، (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م).
  - ١٨- تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، د.ت.
  - الذهبي، شمس الدين محمد، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م).
  - ١٩- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
  - ٢٠- العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
  - الرازي، أبو بكر محمد، (ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٣م).
  - ٢١- الحاوي في الطب، تحقيق، هيثم خليفة طعيمة، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
  - ابن زنبيل، احمد الرمال، (٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م).
  - ٢٢- آخره الممالك، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م).
  - ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م).
  - ٢٣- عيون الانباء، تحقيق نزار رضا، (بيروت، د/ت).
  - ابن سباط، حمزة بن احمد، (ت بعد ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م).
  - ٢٤- صدق الاخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، لبنان، طرابلس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
  - السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).
  - ٢٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، صححه، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
  - السرخسي، أبو بكر محمد ت (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م).
  - ٢٦- شرح السير الكبير، (الهند، ١٣٣٥هـ).
  - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
  - ٢٧- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م).
  - الصفي، صلاح الدين خليل، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
  - ٢٨- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، علي ابو زيد وآخرون، (دمشق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
  - ٢٩- الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
  - الصقاعي، فضل الله بن ابي الخير، (ت بعد سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م).

- ٣٠- تالي كتاب وفيات الاعيان، بتحقيق جاكليين سويلة، دمشق، ١٩٧٤م.
- ابن طولون، شمس الدين محمد، (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م).
- ٣١- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- ابن العبري، ابو الفرج جمال الدين (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
- ٣٢- تاريخ مختصر دول، (بيروت، ١٨٩٠م).
- عماد الدين الاصفهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين (ت ٥٩٧هـ).
- ٣٣- البرق الشامي، تحقيق، فالح حسين، (الاردين، ١٩٨٧م).
- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد، (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).
- ٣٤- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).
- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).
- ٣٥- المختصر في اخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، (ط١، دار المعارف، القاهرة، د.ت).
- الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م).
- ٣٦- القاموس المحيط، (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- قزأوغلي، شمس الدين يوسف (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).
- ٣٧- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق ابراهيم الزبيق، (ط١، الرسالة العلمية، دمشق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).
- ابن القف الكركي، ابو الفرج بن موفق الدين، (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
- ٣٨- العمدة في الجراحة، (مطابع دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، د.ت).
- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).
- ٣٩- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت، د.ت).
- القلقشندي، احمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
- ٤٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط٢، بيروت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- الكتبي، محمد بن شاكر، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
- ٤١- فوات الوفيات، تحقيق علي محمد وعادل احمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن كثير، ابو الفداء، (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
- ٤٢- البداية والنهاية، تحقيق احمد عبد الوهاب فتح الله، (دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م).
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).
- ٤٣- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مراجعة د. محمد فهمي سرحان، (مصر ١٩٧٨م).
- المسعودي، ابو الحسن بن علي، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
- ٤٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، اعتنى به وراجعه، كمال حسن مرعي، (بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).
- المقرئزي، تقي احمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
- ٤٥- أغاثة الامة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال، (ط٣، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- ٤٦- الخطط المقرئزية، وضع حواشيه خليل المنصور، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).
- ٤٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧م).
- المنصوري، بيبس، (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م).

- ٤٨-التحففة الملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح حمدان، (ط١، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م أو ٩٩٥م).
  - ٤٩-الفهرست، (بيروت، د.ت).
  - ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م).
  - ٥٠-تاريخ ابن الوردي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
  - ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
  - ٥١-معجم البلدان، (بيروت، ٢٠١٠م)

### قائمة المراجع

- احمد عبد الرزاق احمد
- ٥٢-الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، (دار الفكر العربي، ١٩٩٩م)
- احمد عيسى.
- ٥٣-معجم الاطباء، (القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م).
- احمد مختار العبادي.
- ٥٤-في تاريخ الايوبيين والمماليك، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥).
- ا.س. ترتول.
- ٥٥-أهل الزمة في الاسلام، ترجمة: حسن حبشي، (مصر، ١٩٦٧م)
- توفيق سلطان البيوزيكي.
- ٥٦-تاريخ أهل الزمة في العراق (١٢ هـ - ٢٤٧هـ)، (الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- رشيد الجميلي.
- ٥٧-حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، (طرابلس، ١٣٩١هـ/١٩٨٢م).
- شوكت عارف الأتروشي.
- ٥٨-الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، (عمان، ٢٠٠٧م).
- طه عبد المقصود أبو عيبة.
- ٥٩-الحضارة الاسلامية، (بيروت، ٢٠٠٤هـ/١٤٢٤م).
- عاشور، سعيد عبد الفتاح.
- ٦٠-العصر المماليكي في مصر والشام، (ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م).
- عبد الجبار الجمورد.
- ٦١-هارون الرشيد، (بيروت، ١٩٥٦م).
- عبد القادر بن بدران.
- ٦٢-منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، تحقيق، زهير الشاويش، (ط٢، بيروت، ١٩٨٥).
- عبد الكريم زيدان.
- ٦٣-أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، (بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- عمر رضا كحالة.
- ٦٤- معجم المؤلفين، (مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).

- عمر فوخ.
- ٦٥- تاريخ العلوم عند العرب، (بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله.
- ٦٧- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
- مجموعة مؤلفين.
- ٦٨- المعجم الوسيط، تحقيق، مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة، د.ت).
- محمد بن يحيى الفيفي.
- ٦٩- الدولة الرسولية في اليمن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- النعيمي، عبد القادر محمد.
- ٧٠- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق، أبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
- ❖ **المجلات والرسائل والاطاريح**
- لطف الله كاري.
- ٧١- "كتب المدارس الطبية في الحضارة العربية الاسلامية"، بحث منشور اعمال ندوة المدارس الطبية في الحضارة الاسلامية، (طرابلس، ٢٠٠٦م).
- ماكس مايرهوف.
- ٧٢- "العلوم والطب"، بحث منشور ضمن كتاب تراث الاسلام لمجموعة مستشرقين، ج٢، أشراف: سيرتوماس أرنولد، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، (اريل، ٢٠٠٠م).
- محمد عطية ابو هويشل.
- ٧٣- الاحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- نشأت الحمارنة.
- ٧٤- "العصر الذهبي للممارسة الطبية - مدرسة دمشق"، مجلة التراث اتحاد الكتاب العرب، العدد الخاص بدمشق عاصمة الثقافة العربية، (دمشق، ٢٠٠٨م).
- ورود نوري حسين.
- ٧٥- "الصيدلاني في العصر المملوكي كوهين العطار نموذجاً"، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (العدد ٢١، لسنة ٢٠١٥).
- وسن حسين.
- ٧٦- اثر اهل الذمه في الحركة الفكرية في العراق وبلاد الشام ومصر القرن (٢٠هـ-٧٠هـ)، اطروحة دكتوراة مقدمة لمجلس كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.
- ياسين خليل.
- ٧٧- "العلوم الصرفة"، موسوعة حضارة العراق، ج٨، (بغداد، ١٩٨٥).
- ❖ **المواقع الالكترونية:**
- ٧٨- [www.ishim.net/2009](http://www.ishim.net/2009) (عبد الناصر كعدان، "علاء الدين الصغير، الطب في عصر وبلاد الشام في العصر المملوكي)
- ٧٩- [www.books.Openedion.org](http://www.books.Openedion.org) (عمار محمد النهار، "دور الاخر ونشاط في عصر المماليك"، ٢٠٠٧م).